

مكتبة دار الكتب والوثائق القومية

١٦٣

التوضيح والبيان

لشجرة الإيمان

ألف الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي

عَفَا اللَّهُ لَهُ وَلِوالِدَيْهِ وَطَمَعَ الْمُسْلِمُونَ
(١٣٠٧-١٣٧٦هـ)

اغتني به

ياسر بن حامد المطيري

طبع هذا الكتاب بدعم من
عبد العزيز بن محمد الفيض
وسارة بنت عبد العزيز الفيض
صلى الله

مكتبة دار الكتب والوثائق القومية

للإسلام والعقيدة القومية

التوضيح والبيان
لشجرة الإيمان

٢٤٠
١٤٣٦/٧٧٨٩
١٢٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم. - (منشورات مكتبة دار المنهاج؛ ١٦٣)
ردمك: ٢ - ٩٧ - ٨٠٣٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - الإيمان (الإسلام) ٢ - الفقه الإسلامي ٣ - الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر أ. المطيري، ياسر حامد (محقق) ب. العنوان
ج. السلسلة
ديوي ٢٤٠
١٤٣٦/٧٧٨٩

جميع حقوق الطبع محفوظة لدار المنهاج بالرياض

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

للمركز الرئيسي - النازي الشرقي - تخرج ١٥ - جنوب أسواق المحمد

ت: ٤٤٥٦٢٢٢٩ - فاكس: ٤٩٦٢٠١٤ - ص ب: ٥١٩٢٩٩ - الرياض ١١٥٥٣

الفروع - طريق خالد بن الوليد (الكامر سابقاً) ت: ٩٣٢٢٣٠٩٥

مكة المكرمة - الجميزة - الطريق الثاني للحريم - ت: ١٩٥٧٢١٣٧٧

المدينة النبوية - أمام الجامعة الإسلامية من جهة الجنوب - ت: ١٤/٨٤٦٧٩٩٩

حساب الدار في موقع تويتر: @Alminhaj

سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرباط ١٦٣

التوضيح والبيان

لشجرة الإيمان

تأليف الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي

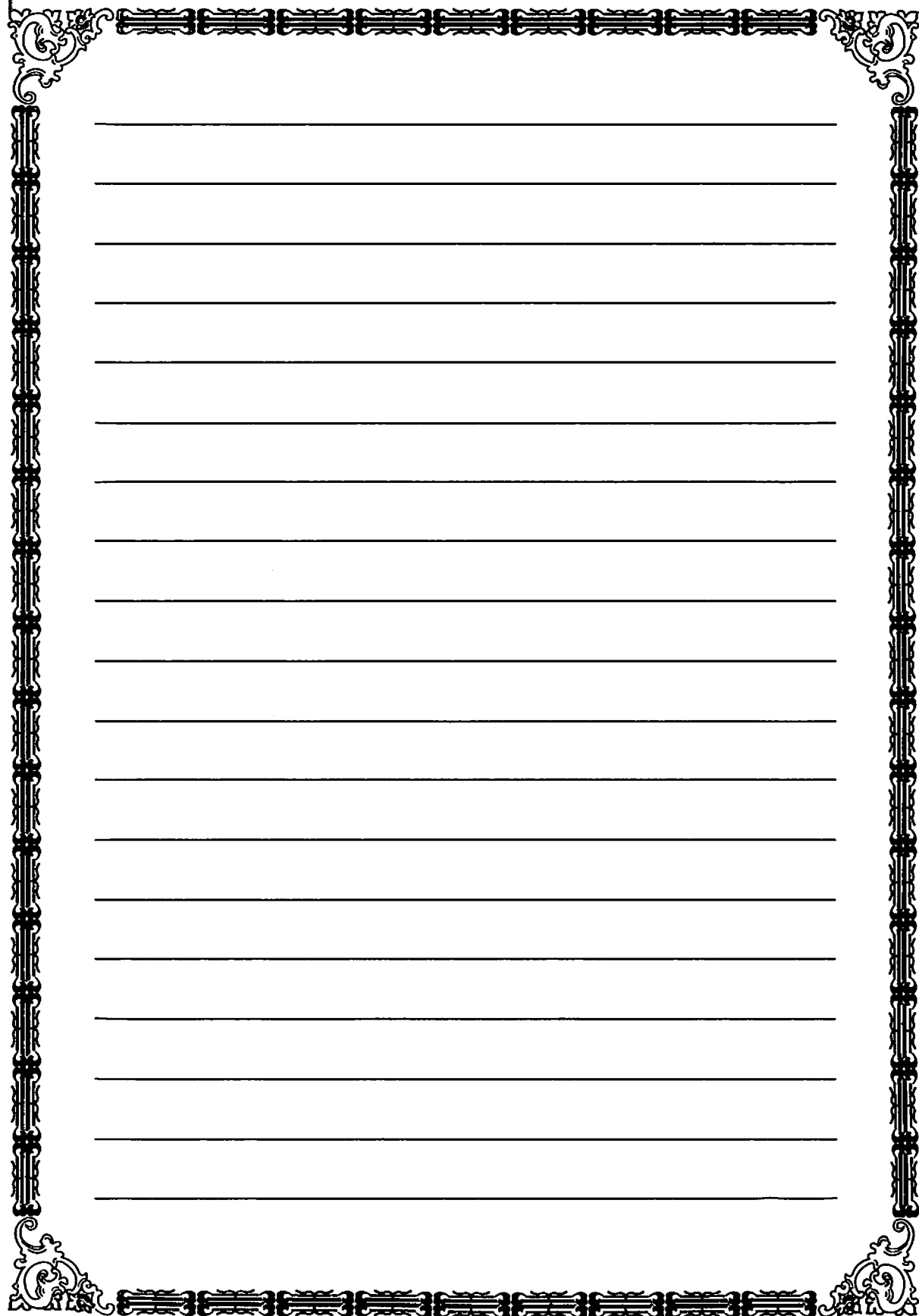
غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

(١٣٠٧-١٣٧٦هـ)

اعتق به
ياسر بن حامد المطيري

مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع بالرباط



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ لِّلْمُعْتَنِي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، آمَّا بَعْدُ:

فإن الإيمان الصحيح مع العمل الصالح عنوان سعادة العبد في الدنيا والآخرة، وبه يحيا الحياة الطيبة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقد وعد ﷺ أهله بالجنة فقال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، وكم يذكر الله في كتابه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ فشان الإيمان عظيم، وخير الدنيا والآخرة من ثمراته.

وقد ضرب الله مثلاً عظيماً للإيمان، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥].
فقد مثل ﷻ كلمة الإيمان - التي هي أطيب الكلمات -
بشجرة هي أطيب الأشجار، أصولها ثابتة ونماؤها مستمر،
وهي لا تزال تُغِلُّ الثمرات النافعة.

وعلى هذا المثل العظيم أَدَارَ الشيخُ عبد الرحمن
السعدي هذا الكتاب، وسماه: «التوضيح والبيان، لشجرة
الإيمان»، ذَكَرَ فيه مباحثَ الإيمان، مستمدةً من الكتاب
والسنة، وعَقَدَهُ في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حَدُّ الإيمان وتفسيره.

الفصل الثاني: في ذكر الأمور التي يُسْتَمَدُّ منها الإيمان.

الفصل الثالث: في فوائد الإيمان وثمراته.

وأتى على ذلك مستمدًا دلائله من الكتاب والسنة،
فجاء الكتاب حافلًا بالنصوص.

كما أَعْرَضَ عن مقالات المبتدعة في الإيمان والردُّ
عليها، فقد تناول ذلك في بعض مؤلفاته، أما هذا الكتاب
فقصره على ما يجب أن يعتقده المسلم في هذا الباب.

■ وصف المخطوط:

مكتوبٌ بخط المؤلف، ومؤرخ في ٨ ذي الحجة سنة ١٣٧٤هـ، يقع في (٢٤) صفحة، تستوعب الصفحة (٢٨) سطرًا، وفيه سقطٌ بمقدار صفحتين من أوله، وقد استدركتُه من المطبوع.

■ طبعاته والعمل في هذه الطبعة:

طُبِعَ الكتاب عدة طبعات، أحسنها طبعة الشيخ عبد الغني عبد الخالق^(١) سنة ١٣٧٦هـ، وعليها اعتمد من جاء بعده، وعلى هذه الطبعة ملاحظات:

- ١ - التغيير في عبارات المؤلف بحُجَّة عدم استقامة الكلام، وجلُّ ذلك لا حاجة له، والكلام مستقيمٌ دونه.
- ٢ - الإطالة في الحواشي وفي تخريج الأحاديث إطالة لا تلائم حجم الكتاب وموضوعه.
- ٣ - وجود سقطٍ في بعض المواضع.

(١) عبد الغني بن محمد عبد الخالق، أبو الكمال: عالم أزهري، عمل أستاذًا للفقه وأصوله في جامعة الأزهر. كان عنده عزوفٌ طبيعيٌّ عن المناصب الإدارية والرياسية، وكان يراها مضيةً لوقت العالم، ومَظَنَّةً للخُلُفِ بينه وبين أصفياه. توفي سنة ١٤٠٣هـ. ذيل الأعلام للعلاونة (١/١٢٥).

ولذا حاولت في هذه الطبعة سدَّ الخلل، وتجاوز هذه الملاحظات، وقرَّسَمْتُ التالي:

١ - كتابة نص الكتاب كما ورد في النسخة الخطية، وإن زدت ما يقتضيه السياق جعلته بين معقوفين.

٢ - تخريج النصوص، وعزُّو الأقوال، مع الإحالة إلى كتب المؤلف الأخرى عند الحاجة.

٣ - التعليق على بعض المواضع بإيجاز.

٤ - وضع فهرس متنوعة للكتاب.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعْظِمَ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ لِلْمُؤَلِّفِ وَلِمَنْ طَبَعَ وَنَشَرَ وَحَقَّقَ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ، وَالرَّامِي بِهِ، وَمُنْبِلُهُ) ^(١).

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه

وكتب

ياسر بن حامد المطيري

الرياض في ١٥ ذو القعدة ١٤٣٤هـ

Yh1131@hotmail.com

(١) رواه أبو داود (٢٥١٥).

العجوة واما ان يكون فيه بعض الخيالات قد انغمز بالشك فليست به خيرة والصالح
 اذا انخرت واضمحلت فما لم يفسد صارت شرا لا الخيال الذي معه فيا لم ينظر
 فتساقطت ويبقى الشك الذي لا يمكن ان يكون له ما الخيرة يعلم علمه وما تأمل الواقع في الخلق
 ربح الامور كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فقتبوا عما تقدم
 ان هذه الشجرة المباركة شجرة الايمان ابرك الاشجار وانفعها وادومها
 وان عرقها واصولها وقواها الايمان وعلمه ومعارفه وساقها
 وافنائها شراخ الاسلام والاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة المؤسدة
 والقوة بالاخلاص لله والمتابعة لرسول الله واتباعها وحبها الله ثم الممتن
 السمت الحسن والعبد الصالح والخلق الحسن واللعن بذكر الله وشكره وثباته عليه
 والنفع لهيا الله بحسب القدرة نفع العلم والنفع الحيا والبرن ونفع
 الحار وجسم طوع النفع وصفتية ذكر كل القيام بحقوق الله وحقوق خلقه
 وان هذه الشجرة في قلوب المؤمنين متفاوتة تفاوتها بحسب
 ما قام بهم واتصفوا به من هذه الصفات وان منازلهم في الارتفاع كارتفاع
 هذه الشجرة وان الغفر في ذلك كله لله وحده والمنة كلها لله بل الله عز
 عليهم ان هذه الشجرة المباركة ان كنتم صادقين وقال الله الجنة نعيم ما دخلوها
 وتبوا منازلهم معتبرين بفضل ربهم العظيم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
 وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت ربنا بالحق ومن دوان
 تلك الجنة التي اوردتموها ما كنتم تعلمون فجم في هذه الآية تبيين الاخبار باعترافهم وشأنهم
 عم الله بنعمته وفهم حيث وصلوا الى هذه المنازل العالية وبين ذكر السبل التي
 اوصلهم الى ذلك بمنية الله عليهم به وهو عمل الصالح الذي هو الايمان واعماله
 فضا لا اله الا الله عليه علينا يا ايماننا لها دور وان لا يسلطنا الى انفسنا حرفة
 عن وان لا ينفع قلوبنا نعمة الله لنا ما وشر رحمة الله وهو الوهاب
 وعلم الله علم محمد وعلم الله وعلم محمد وسلم تسليما قال وذكر وتسمي العبد القدر الله
 عليه ارجو ان يوافقني عليه الله يا ناصر عبيد غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
 قد تم في ١٢٥٤ هـ والحمد لله رب العالمين

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي غَرَسَ شَجَرَةَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ
الْأَخْيَارِ، وَسَقَاها وَغَذَاها بِالْعُلُومِ النَّافِعَةِ وَالْمَعَارِفِ الصَّادِقَةِ
وَاللَّهَجِ بِذِكْرِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَجَعَلَهَا تُؤْتِي أَكْلَهَا وَبَرَكَتَهَا
كُلَّ حِينٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالنَّعَمِ الْغِزَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الْكَرِيمُ الرَّحِيمُ الْغَفَّارُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْبَرَّةِ
الْأَخْيَارِ.

أَمَّا بَعْدُ: فهذا كتابٌ يَحْتَوِي على مباحثِ الْإِيمَانِ الَّتِي
هِيَ أَهَمُّ مباحثِ الدِّينِ، وَأَعْظَمُ أَصُولِ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ، مُسْتَمِدًّا
ذَلِكَ من كتابِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، الْكَفِيلِ بِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْأَصُولِ
تَحْقِيقًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي تُوَافِقُ
الْكِتَابَ وَتُفَسِّرُهُ، وَتُعَبِّرُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ مُجْمَلَاتِهِ، وَتُفَصِّلُ كَثِيرًا
مِنْ مُطْلَقَاتِهِ، مُبْتَدِئًا بِتَفْسِيرِهِ، مُثْنِيًا بِذِكْرِ أَصُولِهِ وَمُقَوِّمَاتِهِ،

وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يُسْتَمَدُّ، مُثَلِّثًا بِفَوَائِدِهِ وَثَمَرَاتِهِ، وَمَا يَتَّبِعُ هَذِهِ الْأُصُولَ.

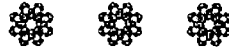
❏ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥]:

فَمَثَلُ اللَّهِ كَلِمَةُ الْإِيمَانِ - الَّتِي هِيَ أَطْيَبُ الْكَلِمَاتِ - بِشَجَرَةٍ هِيَ أَطْيَبُ الْأَشْجَارِ، مَوْصُوفَةٍ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ؛ أَصُولُهَا ثَابِتَةٌ مُسْتَقِرَّةٌ، وَنَمَاؤُهَا مُسْتَمِرٌّ، وَثَمَرَاتُهَا لَا تَزَالُ كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ حِينٍ تُغْلُ^(١) عَلَى أَهْلِهَا وَعَلَى غَيْرِهِمُ الْمَنَافِعَ الْمُتَنَوِّعَةَ، وَالثَّمَرَاتِ النَّافِعَةَ.

وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ مُتَفَاوِتَةٌ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، بِحَسَبِ تَفَاوُتِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ بِهَا، فَعَلَى الْعَبْدِ الْمُؤَفَّقِ أَنْ يَسْعَى لِمَعْرِفَتِهَا، وَمَعْرِفَةِ أَوْصَافِهَا وَأَسْبَابِهَا، وَأُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا؛ وَيَجْتَهِدَ فِي التَّحَقُّقِ بِهَا عِلْمًا

(١) تُغْلُ: أَي: تُدْخِلُ. وَالغَلَّةُ: الدَّخْلُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنَ الزَّرْعِ وَالشَّمْرِ وَاللَّبَنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَعَمَلًا ؛ فَإِنَّ نَصِيْبَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ ، وَالسَّعَادَةِ الْعَاجِلَةِ
وَالْآجِلَةِ - بِحَسَبِ نَصِيْبِهِ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ .



الفصل الأول

في حدِّ الإيمانِ وتفسيره

حُدُودُ الْأَشْيَاءِ وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضَّحُهَا، تَتَقَدَّمُ أَحْكَامُهَا؛ فَإِنَّ الْحُكْمَ عَلَى الْأَشْيَاءِ فَرَعٌ عَنْ تَصَوُّرِهَا، فَمَنْ حَكَّمَ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ قَبْلَ أَنْ يُحِيطَ عِلْمُهُ بِتَفْسِيرِهِ، وَيَتَصَوَّرَهُ تَصَوُّرًا يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ - أَخْطَأَ خَطَأً فَاحِشًا.

❁ أَمَّا حَدُّ الْإِيمَانِ وَتَفْسِيرُهُ؛ فَهُوَ: التَّصَدِيقُ الْجَازِمُ، وَالاعْتِرَافُ التَّامُّ بِجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالانْقِيَادُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ فَهُوَ تَصَدِيقُ الْقَلْبِ وَاعْتِقَادُهُ الْمُتَضَمِّنُ لِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالِ الْبَدَنِ، وَذَلِكَ شَامِلٌ لِلْقِيَامِ بِالدِّينِ كُلِّهِ.

ولهذا كَانَ الْأَثَمَةُ وَالسَّلْفُ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ.

وهو قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ

بالمعصية؛ فهو يَشْمَلُ عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله.

• فالإقرار والاعتراف بما لله تعالى من الأسماء الحُسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال الناشئة عن أسمائه وصفاته هو من أعظم أصول الإيمان.

• وكذلك الاعتراف بما لله من الحقوق الخاصة - وهو التَّأَلُّه والتَّعَبُّدُ لله ظاهراً وباطناً - من أصول الإيمان.

• والاعتراف بما أخبر الله به عن ملائكتِهِ وجُنُودِهِ، والموجوداتِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ؛ والإخبارُ باليومِ الآخِرِ، كُلُّ هذا من أصول الإيمان.

• وكذلك الإيمانُ بجميعِ الرُّسُلِ - صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم - وما وُصِفُوا به في الكتابِ والسُّنَّةِ مِنَ الأوصافِ الحميدة، كُلُّ هذا من أصول الإيمان.

• كما أنَّ من أعظمِ أصولِ الإيمانِ: الاعترافُ بانفرادِ الله بالوحدانيَّةِ والألوهيَّةِ، وعبادةِ الله وحده لا شريكَ له، وإخلاصَ الدِّينِ لله، والقيامَ بِشَرَائِعِ الإسلامِ الظَّاهِرَةِ، وحَقَائِقِهِ الباطِنَةِ، كُلُّ هذا من أصولِ الإيمان.

ولهذا رَتَّبَ الله على الإيمانِ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنْ

النَّارِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ رِضْوَانَهُ وَالْفَلَاحَ وَالسَّعَادَةَ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا ذَكَّرْنَا؛ مِنْ شُمُولِهِ لِلْعَقَائِدِ وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ؛ لِأَنَّهُ مَتَى فَاتَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ حَصَلَ مِنَ النَّقْصِ وَفَوَاتِ الثَّوَابِ وَحُصُولِ الْعِقَابِ بِحَسَبِهِ.

بَلْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ تُنَالُ بِهِ أَرْفَعُ الْمَقَامَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَأَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]، وَالصَّادِقُونَ هُمْ أَعْلَى الْخَلْقِ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الدُّنْيَا وَفِي مَنَازِلِ الْآخِرَةِ. وَأَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مَنْ حَقَّقَ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ.

وَيُفَسِّرُ ذَلِكَ وَيُوضِّحُهُ مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»؛ عَنْهُ ﷺ قَالَ: «(إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ فِي الْجَنَّةِ؛ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكُوكَبَ الشَّرْقِيَّ أَوِ الْغَرْبِيَّ فِي الْأَفْقِ؛ لِتَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ)؛ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: (بَلَى - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ)»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١)، من حديث أبي سعيد

وإيمانهم بالله وتصديقهم للمُرسلين في ظاهرهم وباطنهم، في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم، وفي كمال طاعتهم لله ولرُسُلِهِ، فقيامهم بهذه الأمور به يتحقق إيمانهم بالله وتصديقهم للمُرسلين.

وقد أَمَرَ الله في كتابه بهذا الإيمان العام الشامل، وما يتبعه من الانقياد والاستسلام، وأثنى على مَنْ قام به، فقال - في أعظم آيات الإيمان -: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فأَمَرَ الله عِبَادَهُ بالإيمان بجميع هذه الأصول العظيمة، والإيمان الشامل بكلِّ كتاب أنزله الله، وبكلِّ رَسولٍ أَرْسَلَهُ الله، وبالإخلاص والاستسلام والانقياد له وحده - بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

كما أَثْنَى على المؤمنين في آخِرِ السُّورَةِ بالقيام بذلك فقال: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فَأَخْبَرَ أَنَّ الرَّسُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ آمَنُوا بِهِذِهِ
الْأُصُولِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ آمَنُوا بِهِمْ
جَمِيعًا، وَبِمَا أُوتُوهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهُمْ التَّزَمُوا طَاعَةَ اللَّهِ
فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَطَلَبُوا مِنْ رَبِّهِمْ أَنْ يُحَقِّقَ لَهُمْ ذَلِكَ،
وَأَنْ يَعْفُوَ عَنْ تَقْصِيرِهِمْ بِبَعْضِ حُقُوقِ الْإِيمَانِ، وَأَنْ مَرَجَعَ
الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ وَمَصِيرَهُمْ إِلَى اللَّهِ؛ يُجَازِيهِمْ بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ
حُقُوقِ الْإِيمَانِ وَمَا ضَيَّعُوهُ مِنْهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ أَتْبَاعِ
الْأَنْبِيَاءِ عِيسَى وَغَيْرِهِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ
وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

فَآمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَالتَّزَمُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَانْقَادُوا
بِجَوَارِحِهِمْ، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَكْتُبَهُمْ مَعَ الشَّاهِدِينَ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ
وَأَنْ يُحَقِّقَ لَهُمُ الْقِيَامَ بِهِ قَوْلًا، وَعَمَلًا، وَاعْتِقَادًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

فَوَصَفَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهذه الصِّفَاتِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْقِيَامِ
بِأُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَإِنَّهُ وَصَفَهُمْ
بِالْإِيمَانِ بِهِ إِيْمَانًا ظَهَرَتْ آثَارُهُ فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ
وَأَعْمَالِهِمْ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَنَّهُ - مع ثُبُوتِ الْإِيمَانِ فِي
قُلُوبِهِمْ - يَزْدَادُ إِيْمَانُهُمْ كُلَّمَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ، وَيَزْدَادُ
خَوْفُهُمْ وَوَجَلُّهُمْ كُلَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ، وَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ وَسِرِّهِمْ
مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ، وَمُعْتَمِدُونَ فِي أُمُورِهِمْ كُلِّهَا عَلَيْهِ،
وَمُفَوَّضُونَ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ، وَهُمْ مع ذَلِكَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
فَرَضَهَا وَنَفَلَهَا؛ يُقِيمُونَهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ،
وَيُنْفِقُونَ النِّفَقَاتِ الْوَاجِبَةَ وَالْمُسْتَحَبَّةَ، وَمَنْ كَانَ عَلَى هَذَا
الْوَصْفِ، فَلَمْ يُبْقِ مِنَ الْخَيْرِ مَطْلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا؛
وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤]، الَّذِينَ
يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْوَصْفَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَيُحَقِّقُونَ الْقِيَامَ بِهِ
ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. ثُمَّ ذَكَرَ ثَوَابَهُمُ الْجَزِيلَ؛ الْمَغْفِرَةَ الْمُتَضَمِّنَةَ
لِزَوَالِ كُلِّ شَرٍّ وَمَحْذُورٍ، وَرِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ رَبِّهِمْ،
وَالرِّزْقَ الْكَرِيمَ الْمُتَضَمِّنَ مِنَ النِّعَمِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا
أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ.

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

ففسّر الله الإيمان - في هذه الآيات - بجميع هذه الخِصال؛ فإنه أخبر بصلاح المؤمنين، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى آخر الآيات المذكورة؛ فمن استكمل هذه الأوصاف فهو المؤمن حقًا. ومضمونها: القيام بالواجبات الظاهرة والباطنة، واجتناب المحرمات والمكروهات. وبتكميلهم للإيمان استحقوا ورائة جنّات الفردوس التي هي أعلى الجنّات، كما أنهم قاموا بأعلى الكمالات. وهذه صريحة في أنّ الإيمان يشمل عقائد الدين وأخلاقه، وأعماله الظاهرة والباطنة.

ويترتب على ذلك: أنّه يزيدُ بزيادة هذه الأوصاف والتحقّق بها، وينقصُ بنقصها، وأنّ الناس في الإيمان

دَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ؛ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَلِهَذَا كَانُوا ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ:

• سَابِقُونَ مُقَرَّبُونَ، وَهُمْ الَّذِينَ قَامُوا بِالْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفُضِّلَ الْمُبَاحَاتِ^(١).

• وَمُقْتَصِدُونَ، وَهُمْ الَّذِينَ قَامُوا بِالْوَاجِبَاتِ، وَتَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ.

• وَظَالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ تَرَكُوا بَعْضَ وَاجِبَاتِ الْإِيمَانِ، وَفَعَلُوا بَعْضَ الْمُحَرَّمَاتِ؛ كَمَا ذَكَرَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقد يعطفُ الله على الإيمانِ الأعمالَ الصَّالِحَةَ، أو التَّقْوَى أو الصَّبْرَ، لِلْحَاجَةِ إِلَى ذِكْرِ الْمَعْطُوفِ؛ لِئَلَّا يَظَنَّ الظَّالِمُ أَنَّ الْإِيمَانَ يُكْتَفَى فِيهِ بِمَا فِي الْقَلْبِ؛ فَكَمْ فِي الْقُرْآنِ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥٤٦/٦). وكثيرٌ من أهل العلم لم يذكر (فضول المباحات).

مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(١)، ثُمَّ يَذْكُرُ خَبْرًا عَنْهُمْ. وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، وَهِيَ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا الْإِيمَانُ؛ فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَهُوَ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَمِنْ تَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ - فَلَيْسَ بِصَادِقٍ فِي إِيْمَانِهِ.

كَمَا يَقْرُنُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿[يونس: ٦٢ - ٦٣]:

فَذَكَرَ الْإِيمَانَ الشَّامِلَ لِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْإِرَادَاتِ الطَّيِّبَةِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَا يَتِمُّ لِلْمُؤْمِنِ ذَلِكَ حَتَّى يَتَّقِيَ مَا يُسَخِّطُ اللَّهَ؛ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ؛ وَلِهَذَا حَقَّقَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، كَمَا وَصَفَ اللَّهُ بِذَلِكَ خِيَارَ خَلْقِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^(٣) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿[الحجرات: ٧ - ٨].

(١) وردت في عشرة مواضع في القرآن [البقرة: ٢٧٧، ويونس: ٩، وهود: ٢٣، والكهف: ٣٠، و١٠٧، ومريم: ٩٦، ولقمان: ٨، وفصلت: ٨، والبروج: ١١، والبيئة: ٧].

❏ فهذه أكبر المنن؛ أن يُحِبَّ الإيمان للعبد، ويُزَيِّنَهُ في قلبه، ويُذِيقَهُ حَلَاوَتَهُ، وَتَنَقَّادَ جَوَارِحِهِ لِلْعَمَلِ بِشَرَائِعِ الإسلام؛ وَيُبْغِضَ إِلَيْهِ أَصْنَافَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِهَذَا الْفَضْلِ، حَكِيمٌ فِي وَضْعِهِ فِي مَحَلِّهِ اللَّائِقِ بِهِ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ عَنْ دِينِهِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ)^(١).

فَذَكَرَ أَصْلَ الْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَلَا يَكْتَفِي بِمُطْلَقِ الْمَحَبَّةِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مُقَدَّمَةً عَلَى جَمِيعِ الْمَحَابِّ، وَذَكَرَ تَفْرِيعَهَا؛ بِأَنْ يُحِبَّ اللَّهُ، وَيُبْغِضَ اللَّهُ^(٢)؛ فَيُحِبُّ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ؛ لِأَنَّهُمْ قَامُوا بِمَحَابِّ اللَّهِ وَاخْتَصَّوهُمْ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ، وَذَكَرَ دَفَعَ مَا يُنَاقِضُهُ وَيُنَافِيهِ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ عَنْ

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) لم يذكر التفريع هنا. فلعل الشيخ يقصد رواية الطبراني (٧٢٣) لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: (وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ لِلَّهِ وَيُبْغِضُ لِلَّهِ).

دِينِهِ أَعْظَمَ كَرَاهَةً، بِقَدْرِ أَعْظَمَ مِنْ كَرَاهَةِ إِقَائِهِ فِي النَّارِ.

وَأَخْبَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ لِلْإِيمَانِ حُلَاوَةً فِي الْقَلْبِ، إِذَا وَجَدَهَا الْعَبْدُ سَلَّتُهُ عَنِ الْمَحْبُوبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَعَنِ الْأَغْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ، وَأَوْجَبَتْ لَهُ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَهَجَ بِذِكْرِ اللَّهِ طَبْعًا؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، وَاجْتَهَدَ فِي مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ، وَقَدَّمَ مُتَابَعَتَهُ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ، وَعَلَى إِرَادَةِ النُّفُوسِ وَأَغْرَاضِهَا، مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَنَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةٌ مُسْتَحْلِيَةٌ لِلطَّاعَاتِ، قَدْ انْشَرَحَ صَدْرُ صَاحِبِهَا لِلْإِسْلَامِ؛ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْعَالِيَةِ، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٩].

وكذلك في «الصَّحِيحَيْنِ» من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ أَنَّهُ رضي الله عنه قَالَ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً؛ أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)^(١).

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له. ولفظ البخاري: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ). ورجح رواية: (بِضْعٌ وَسِتُّونَ) البيهقي وابن حجر. ينظر: فتح الباري (١/٥١).

■ وهذا صَرِيحٌ أَنَّ الْإِيمَانَ يَشْمَلُ أَقْوَالَ اللِّسَانِ، وأَعْمَالَ الْجَوَارِحِ، والاعتقاداتِ، والأخلاقَ، والقيامَ بِحَقِّ اللَّهِ، والإحسانَ إِلَى خَلْقِهِ؛ فَجَمَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَصْلِهِ وَقَاعِدَتِهِ؛ وَهُوَ قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؛ اعْتِقَادًا، وَتَأَلُّهَا، وَإِخْلَاصًا لِلَّهِ، وَبَيْنَ أَدْنَاهُ؛ وَهُوَ إِمَاطَةُ الْعَظْمِ وَالشُّوَكَةِ وَكُلُّ مَا يُؤْذِي عَنِ الطَّرِيقِ، فَكَيْفَ بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ؟! وَذَكَرَ الْحَيَاءَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لِأَنَّ الْحَيَاءَ بِهِ حَيَاةُ الْإِيمَانِ، وَبِهِ يَدْعُ الْعَبْدُ كُلُّ فِعْلٍ قَبِيحٍ، كَمَا بِهِ يَتَحَقَّقُ كُلُّ خُلُقٍ حَسَنٍ. وَهَذِهِ الشُّعْبُ الْمَذْكُورَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ هِيَ جَمِيعُ شَرَائِعِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ^(١).

■ وهذا أيضًا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ بِحَسَبِ زِيَادَةِ هَذِهِ الشَّرَائِعِ وَالشُّعْبِ، وَاتِّصَافِ الْعَبْدِ بِهَا أَوْ عَدَمِهِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِيهَا تَفَاوُتًا كَثِيرًا؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ فَقَدْ خَالَفَ الْحِسَّ مَعَ مُخَالَفَتِهِ لِنُصُوصِ الشَّارِعِ؛ كَمَا تَرَى.

(١) فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ ذَكَرَ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ الثَّلَاثَةَ: الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ وَالْإِعْتِقَادَ. أَمَّا الْقَوْلُ وَالْعَمَلَ فَظَاهِرَانِ، وَأَمَّا الْإِعْتِقَادَ فَمُسْتَفَادٌ مِنْ ذِكْرِ (الْحَيَاءِ) حَيْثُ إِنَّ أَصْلَهُ نَاشِئٌ عَنْ عَمَلِ الْقَلْبِ.

وقد ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورِ، حَيْثُ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ بِحَضْرَةِ الصَّحَابَةِ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ)^(١).

وَفَسَّرَ الْإِسْلَامَ بِالشَّرَائِعِ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ؛ لِأَنَّهُ - كَمَا تَقَدَّمَ - إِذَا قُرِنَ بِالْإِيمَانِ غَيْرُهُ، فُسِّرَ الْإِيمَانُ بِمَا فِي الْقَلْبِ مِنَ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ؛ وَالْإِسْلَامُ أَوْ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ بِالشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا عِنْدَ الْإِطْلَاقِ - إِذَا أُطْلِقَ الْإِيمَانُ - فَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُ يَشْمَلُ ذَلِكَ أَجْمَعُ^(٢).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)^(٣).

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَقْدَّمَ مَحَبَّتَهُ عَلَى مَحَبَةِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ إِذَا تَعَارَضَتِ الْمَحَبَّتَانِ؛

(١) أخرجه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤/٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

فَإِنْ قَدَّمَ مَا يُحِبُّهُ الرَّسُولُ كَانَ صَادِقَ الْإِيمَانِ، وَإِلَّا فَهُوَ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فَأَقْسَمَ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ، وَلَا يَبْقَى فِي قُلُوبِهِمْ حَرَجٌ وَضِيقٌ مِنْ حُكْمِهِ، وَيَنْقَادُوا لَهُ انْقِيَادًا، وَيَنْشَرِّحُوا لِحُكْمِهِ، وَهَذَا شَامِلٌ فِي تَحْكِيمِهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفِي فُرُوعِهِ، وَفِي الْأَحْكَامِ الْكُلِّيَّةِ وَالْأَحْكَامِ الْجُزْئِيَّةِ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)^(١)، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يَقُومَ بِحُقُوقِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ بِذَلِكَ، وَيُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْإِيمَانِ الْوَاجِبِ، بَلْ نَقَصَ إِيْمَانَهُ بِقَدْرِ مَا نَقَصَ مِنَ الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ الْعَبَّاسِ بْنِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣)، وَمُسْلِمٌ (٤٥).

عبد المطلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً) (١).

والرضا بذلك يقتضي الفرح بذلك، والسرور برؤية الله له، وحسن تدبيره، وأفضيته عليه، و[أن] (٢) يرضى بالإسلام ديناً، ويفرح به، ويحمد الله على هذه النعمة التي هي أكبر المنن؛ حيث رضي الله له الإسلام، ووفقه له، واصطفاه له، ويرضى بمحمد ﷺ نبياً؛ إذ هو أكمل الخلق، وأعلاهم في كل صفة كمال، وأمثه وأتباعه أكمل الأمم وأعلاهم، وأرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

فالرضا بنبوة الرسول ورسالته، وأتباعه من أعظم ما يثمر الإيمان، ويذوق به العبد حلاوته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

(١) أخرجه مسلم (٣٤)، ولفظه: (وبمحمد رسولاً).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة متعينة.

فَكَيفَ لَا يَرْضَى الْمُؤْمِنُ بِهَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، الرَّؤُوفِ
الرَّحِيمِ، الَّذِي أَقْسَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَعَلَى خُلُقِي عَظِيمٍ.

وَأَشْرَفُ مَقَامٍ لِلْعَبْدِ انْتِسَابُهُ لِعُبُودِيَّةِ اللَّهِ، وَاقْتِدَاؤُهُ
بِرَسُولِهِ، وَمَحَبَّتُهُ وَاتِّبَاعُهُ، وَهَذَا عَلَامَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ، وَبِاتِّبَاعِهِ
تَتَحَقَّقُ الْمَحَبَّةُ وَالْإِيمَانُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الثَّقَفِيِّ، قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ
قَوْلًا، لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: (قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ
اسْتَقِمْتُ)»^(١).

فَبَيَّنَ ﷺ - بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ الْجَامِعَةِ - أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ
بِالْإِيمَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، ثُمَّ اسْتَقَامَ عَلَيْهِ قَوْلًا وَعَمَلًا فِعْلًا
وَتَرَكًا: فَقَدْ كَمَلَ أَمْرُهُ، وَاسْتَقَامَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ،
وَرُجِيَ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ مَعَ مَنْ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ
أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

[فصلت: ٣٠ - ٣٢].

وفي حديث ابن عباسٍ المتَّفَقِ عليه؛ في وفدِ
عبدِ القيسِ، حينَ وفدُوا على النَّبيِّ ﷺ حيثُ قالُوا: «مُرْنَا
بِأَمْرِ فَضْلٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ؛ وَسَأَلُوهُ عَنِ
الْأَشْرِبَةِ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ؛ أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ
بِاللهِ وَحَدِّهِ، قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحَدِّهِ؟!) قالُوا:
اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ
رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ)، وَنَهَاَهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ:
(عَنِ الْحَنْتَمِ، وَالذُّبَاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُرْقَتِ)، وَقَالَ:
(احْفَظُوهُنَّ، وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ)»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧). والْحَنْتَمُ، وَالذُّبَاءُ، وَالنَّقِيرُ،
وَالْمُرْقَتُ أوعيةٌ يُسْرَعُ فِيهَا الإسْكَارُ، فَهِيَ ﷺ عن الانتباز فيها. وهذا
النهي كان في أول الأمر ثم نسخ بحديث بريدة ﷺ أن النبي ﷺ قال:
(كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْإِنْتِازِ إِلَّا فِي الْأَسْقِيَةِ، فَانْتَبِذُوا فِي كُلِّ وِعَاءٍ وَلَا تَشْرَبُوا
مُسْكِرًا). رواه مسلم (٥٢٨١). والقول بنسخه مذهب جماهير العلماء. =

فهذا أيضًا صريحٌ في إدخالِ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ
بالإيمان؛ مثلَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ، وإِعْطَاءِ الْخُمْسِ
مِنَ الْمَغْنَمِ. وَكُلُّ هَذَا يُفَسِّرُ لَنَا الْإِيمَانَ تَفْسِيرًا يُزِيلُ
الِشَّكَالَ، وَأَنَّهُ كَمَا يَدْخُلُ فِيهِ الْعُقَائِدُ الْقَلْبِيَّةُ فَيَدْخُلُ فِيهِ
الْأَعْمَالُ الْبَدَنِيَّةُ، فَكُلُّ مَا قَرَّبَ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ
واعتقادٍ فَإِنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ.

وفي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ)^(١).

فَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ فِي الْقَلْبِ وَالْبَاطِنِ، وَالْعَطَاءُ وَالْمَنَعُ
فِي الظَّاهِرِ، وَاشْتَرَطَ فِيهَا كُلَّهَا: الْإِخْلَاصُ الَّذِي هُوَ رُوحُ
الْإِيمَانِ وَلُبُّهُ وَسِرُّهُ.

○ فَالْحُبُّ فِي اللَّهِ: أَنْ يُحِبَّ اللَّهُ، وَيُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ مِنْ

= ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٨٥).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨١). قال المنذري في مختصر السنن (٥١/٧):
«في إسناده القاسم بن عبد الرحمن، أبو عبد الرحمن الشامي. وقد تكلم
فيه غير واحد». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٠) بمجموع
طرقه.

الأعمال والأوقات والأزمان والأحوال، ويُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَأَتْبَاعِهِمْ.

○ والبُغْضُ في الله: أَنْ يُبْغِضَ كُلُّ مَا أَبْغَضَهُ مِنْ كُفْرٍ وَفُسُوقٍ وَعِصْيَانٍ، وَيُبْغِضَ مَنْ يَتَّصِفُ بِهَا، أَوْ يَدْعُو إِلَيْهَا.

○ والعطاء: يَشْمَلُ عَطَاءَ الْعَبْدِ مِنْ نَفْسِهِ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا مَنَ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ (٥) وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَيِّئَرُهُ لِلْيُسْرَى [الليل: ٥ - ٧]، وَهَذَا يَشْمَلُ جَمِيعَ مَا أَمَرَ بِهِ الْعَبْدُ؛ لَا يَخْتَصُّ بِالْعَطَاءِ الْمَالِيِّ؛ بَلْ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الْعَطَاءِ.

○ وَكَذَلِكَ مُقَابِلُهُ: الْمَنْعُ.

وبهذه الأمور الأربعة، يَتِمُّ لِلْعَبْدِ إِيْمَانُهُ وَدِينُهُ.

وكذلك ما رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (الْمُؤْمِنُ: مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)^(١): يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِيْمَانَ الصَّحِيحَ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى رِعَايَةِ الْأَمَانَةِ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الْخِيَانَةِ؛ حَتَّى يَطْمَئِنَّ

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢٧)، والنسائي (٤٩٩٥)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (١٨٠)، وصححه ابن تيمية كما في الفتاوى (٨/٧).

إِلَيْهِ النَّاسُ، وَيَأْمَنُوهُ عَلَى أَنْفُسِ الْأَشْيَاءِ عِنْدَهُمْ؛ وَهِيَ:
الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ.

وهذه النُّصُوصُ كُلُّهَا تُبَيِّنُ مَعْنَى الْإِيمَانِ وَحَقِيقَتَهُ، وَأَنَّهُ
كَمَا قَالَ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّيِّ وَالتَّحَلِّيِّ،
وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ»^(١).

فَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ تُصَدِّقُ الْإِيمَانَ، وَبِهَا
يَتَحَقَّقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].
فَالْعَبْدُ إِذَا أَصَابَتْهُ الْمُصِيبَةُ فَأَمَّنَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ
حَكِيمٌ رَحِيمٌ فِي تَقْدِيرِهَا، وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ عِبْدِهِ - هَدَى اللَّهُ
قَلْبَهُ هِدَايَةً خَاصَّةً لِلرِّضَا وَالصَّبْرِ وَالتَّسْلِيمِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، كَمَا
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِإِذْنِهِمْ﴾ [يونس: ٩]، فَحَذَفَ الْمُتَعَلِّقَ لِيَشْمَلَ هِدَايَتَهُمْ لِكُلِّ
خَيْرٍ، وَهِدَايَتَهُمْ لِتَرْكِ كُلِّ شَرٍّ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ،
فَالْأَعْمَالُ مِنَ الْإِيمَانِ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ وَلَوَازِمِهِ
مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٣٥١، ٣٥٢١١)، والبيهقي في
الشعب (٦٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]:

كثيرٌ من المفسرين فسّروا الإيمان هنا بالصّلاة إلى القبلة التي كانوا عليها - بيت المقدس - قبل النّسخ حيث مات أناسٌ من المسلمين قبل أن تُنقل القبلة إلى الكعبة، فحصلَ عند بعضهم اشتباهٌ في شأنهم، فأنزل الله هذه الآية^(١)، وذلك أنّ صلاتهم إلى بيت المقدس في ذلك الوقت، التّزامٌ منهم لطاعة الله ورَسُولِهِ، وذلك هو الإيمان.

وهذه الآية فيها إشارةٌ كبرى؛ وهي [أنّ] الله لا يُضيعُ إيمانَ المؤمنين؛ قلّ ذلك الإيمانُ أو كثر؛ كما وردَ في الصحيح: (إنّ الله يُخرجُ من النّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ)^(٢).

وبشارةٌ لكلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا قَصْدُهُ طاعةُ الله

(١) سبب نزول هذه الآية أخرجه البخاري (٤٠)، ومسلم (٥٢٥) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَرَسُولِهِ، وَهُوَ مُتَأَوِّلٌ أَوْ مُخْطِئٌ، أَوْ نُسِخَ ذَلِكَ الْعَمَلُ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا عَمِلَ ذَلِكَ الْعَمَلَ إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَقَصْدًا لِمَطَاعَتِهِ، وَلَكِنَّهُ تَأَوَّلَ تَأْوِيلًا أَخْطَأَ فِيهِ، أَوْ أَخْطَأَ بِلَا تَأْوِيلٍ؛ فَخَطُوهُ مَعْفُو عَنْهُ، وَأَجْرُ الْقَصْدِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى طَاعَتِهِ لَا يُضَيِّعُهُ اللَّهُ^(١).

ولهذا قَالَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قَالَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ: (قَدْ فَعَلْتُ)^(٢).

وفي الحديثِ الصَّحِيحِ: (إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَحَكَمَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ)^(٣) وَخَطُوهُ مَعْفُورٌ لَهُ.

وكذلك: مَنْ نَوَى عَمَلًا صَالِحًا، وَحَرَصَ عَلَى فِعْلِهِ، وَمَنَعَهُ مَانِعٌ؛ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ سَفَرٍ، أَوْ عَجْزٍ أَوْ غَيْرِهَا، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَاهُ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٦٩١٩)، ومسلم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً: (مَنْ مَرِضَ أَوْ سَافَرَ
كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَاحِبًا مُقِيمًا)^(١)، ويدخل في ذلك مَنْ
أَقْعَدَهُ الْكِبَرُ عَنْ عَمَلِهِ الْمَعْتَادِ.



(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٦). ولم يخرجہ مسلم.

فَصْلٌ

إِذَا ثَبَتَ بِدِلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَعْنَى الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ اسْمٌ جَامِعٌ لَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَصُولِ الْإِيمَانِ وَحَقَائِقِ الْإِحْسَانِ، وَتَوَابِعِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، بَلْ هُوَ اسْمٌ لِلدِّينِ كُلِّهِ - عَلِمَ أَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَيَقْوَى وَيَضْعُفُ.

وهذه المسألة لا تقبل الاشتباه بوجه من الوجوه؛ لا شرعاً، ولا حساً، ولا واقعاً.

وذلك أن نصوص الكتاب والسنة صريحة في زيادته ونقصانه؛ مثل قوله تعالى: ﴿لِيَزَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾، [الفتح: ٤]، ﴿وَيَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤] وغيرها من الآيات.

وكذلك الحسّ والواقع يشهد بذلك من جميع وجوه الإيمان؛ فإنّ الناس في علوم الإيمان وفي معارفه، وفي أخلاقه وأعماله الظاهرة والباطنة، متفاوتون تفاوتًا عظيمًا في القوّة والكثرة، ووجود الآثار، ووجود الموانع، وغير ذلك.

فالمؤمنون الكملّ عندهم من تفاصيل علوم الإيمان ومعارفه وأعماله، ما لا نسبة إليه من علوم عموم كثير من المؤمنين، وأعمالهم، وأخلاقهم، فعند كثير منهم علوم ضعيفة مجمّلة، وأعمال قليلة ضعيفة، وعند كثير منهم من المعارضات والشبهات والشّهوات، ما يضعف الإيمان ويُنقصه درجات كثيرة.

بل تجد المؤمنين يتفاوتون تفاوتًا كثيرًا في نفس العلم الذي عرفوه من علوم الإيمان:

أحدهما: علمه فيه قويّ صحيح، لا ريب فيه، ولا شبهة. والآخر: علمه فيه ضعيف، وعنده معارضات كثيرة تُضعفه أيضًا.

وكذلك أخلاق الإيمان: يتفاوتون فيها تفاوتًا كثيرًا؛ صفات الحلم والصبر والخلق وغيرها.

وكذلك في العبادات الظاهرة: كالصلاة، يُصلي اثنان صلاة واحدة، وأحدهما يُؤدّي حقوقها الظاهرة والباطنة، ويعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، والآخر يُصليها بظاهره، وباطنه مشغول بغيرها. وكذلك بقيّة العبادات.

ولهذا كان المؤمنون ثلاث مراتب: مرتبة السابقين، ومرتبة المقتصدين، ومرتبة الظالمين، وكل واحد من هذه المراتب - أيضا - أهلها متفاوتون تفاوتًا كثيرًا.

والعبد المؤمن - في نفسه - له أحوال وأوقات تكون أعماله كثيرة قويّة، وأحيانًا بالعكس.

وكل هذا من زيادة الإيمان ونقصه، ومن قوّته وضعفه، وكان خيار الأمة والمُعْتَنُونَ بالإيمان منهم يتعاهدون إيمانهم كلّ وقت؛ يجتهدون في زيادته وتقويته، وفي دفع المعارضات المنقصة له، ويجتهدون في ذلك، ويسألون الله أن يُثبّت إيمانهم، ويزيدهم منه؛ من علومه وأعماله وأحواله؛ فنسأل الله أن يزيدنا علمًا ويقينًا، وطمأنينة به وبذكره، وإيمانًا صادقًا.

وخيارُ الخلق - أيضاً - يَطْلُبُونَ وَيَتَنَافَسُونَ في الوصولِ إلى عَيْنِ اليَقِينِ، بعدَ علمِ اليَقِينِ، وإلى حَقِّ اليَقِينِ؛ كما قَالَ اللهُ عن إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

والحواريُّونَ خواصُّ أتباعِ المسيحِ بنِ مَرْيَمَ، حينَ طَلَبُوا نَزُولَ المائدةِ ووعَظَهم عيسى عن هذا الطَلَبِ ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١٣]؛ فذَكَرُوا حاجَتَهُم الدُّنْيَوِيَّةَ، وحاجَتَهُم العلميَّةَ الإيمانيَّةَ إلى ذلك.



الْفَصْلُ الثَّانِي

في ذكرِ الْأُمُورِ الَّتِي يُسْتَمَدُّ مِنْهَا الْإِيمَانُ

وهذا فَصْلٌ عَظِيمٌ النَّفْعِ وَالْحَاجَةِ، بِلِ الْضَّرُورَةِ مَاسَّةٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَالْعَنَاءِ بِهِ، مَعْرِفَةً وَاتِّصَافًا، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ كَمَالُ الْعَبْدِ، وَبِهِ تَرْتَفِعُ دَرَجَاتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ السَّبَبُ وَالطَّرِيقُ لِكُلِّ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَآجِلٍ، وَلَا يَحْصُلُ، وَلَا يَقْوَى، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ مَا مِنْهُ يُسْتَمَدُّ، وَإِلَى يَنْبُوعِهِ وَأَسْبَابِهِ وَطُرُقِهِ.

وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ سَبَبًا وَطَرِيقًا يُوصِلُ إِلَيْهِ، وَالْإِيمَانُ أَعْظَمُ الْمَطَالِبِ وَأَهْمُّهَا وَأَعَمُّهَا، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مَوَادَّ كَبِيرَةً تَجْلِبُهُ وَتُقَوِّيه، كَمَا كَانَ لَهُ أَسْبَابٌ تُضَعِّفُهُ وَتُوهِيهِ.

وَمَوَادُّهُ الَّتِي تَجْلِبُهُ وَتُقَوِّيه أَمْرَانِ؛ مُجَمَّلٌ وَمُفَصَّلٌ:

أَمَّا الْمُجَمَّلُ فَهُوَ: التَّدَبُّرُ لآيَاتِ اللَّهِ الْمَتَلَوَّةِ: مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَالتَّأَمُّلُ لآيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا،

والحرصُ على معرفة الحقِّ الذي خُلِقَ له العبدُ، والعملُ بالحقِّ، فجميعُ الأسبابِ مرجعُها إلى هذا الأصلِ العظيمِ.

وأما التفصيلُ: فالإيمانُ يحصلُ ويقوى بأمرٍ كثيرةٍ:

١ - منها - بل أعظمُها - : معرفةُ أسماءِ الله الحُسنى الواردةِ في الكتابِ والسُّنة، والحرصُ على فهمِ معانيها، والتَّعَبُّدُ لله فيها.

فقد ثَبَتَ في «الصَّحِيحَيْنِ» عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ^(١)؛ أي: مَنْ حَفِظَهَا، وَفَهَمَ مَعَانِيَهَا، وَاعْتَقَدَهَا، وَتَعَبَّدَ لِلَّهِ بِهَا ^(٢)، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَالْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ.

فَعَلِمَ: أَنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ يَنْبُوعٍ وَمَادَّةٍ لِحُصُولِ الْإِيمَانِ وَقُوَّتِهِ وَثَبَاتِهِ، وَمَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى هِيَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ يَرْجِعُ إِلَيْهَا.

ومعرفتها تَتَضَمَّنُ أَنْوَاعَ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةِ: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ،

(١) أخرجه البخاري (٦٩٥٧)، ومسلم (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢٨٨/١)، والحق الواضح المبين للمؤلف (ص ٢٢).

وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان وروحه، وأصله وغايته؛ فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه.

❏ فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْذُلَ مَقْدُورَهُ وَمُسْتَطَاعَهُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَتَكُونَ مَعْرِفَتُهُ سَالِمَةً مِنْ دَاءِ التَّعْطِيلِ، وَمِنْ دَاءِ التَّمْثِيلِ؛ اللَّذَيْنِ ابْتُلِيَ بِهِمَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الْمُخَالِفَةِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؛ بَلْ تَكُونَ الْمَعْرِفَةُ مُتَلَقَّاءَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا رُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ النَّافِعَةُ الَّتِي لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا فِي زِيَادَةٍ فِي إِيْمَانِهِ وَقُوَّةٍ فِي يَقِينِهِ، وَطَمَإْنِينَةٍ فِي أَحْوَالِهِ^(١).

٢ - ومنها: تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ؛ فَإِنَّ الْمُتَدَبِّرَ لَا يَزَالُ يَسْتَفِيدُ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ وَمَعَارِفِهِ مَا يَزْدَادُ بِهِ إِيْمَانًا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وكذلك: إِذَا نَظَرَ إِلَى انْتِظَامِهِ وَإِحْكَامِهِ؛ وَأَنَّهُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُؤَافِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ

(١) ينظر: القول السديد للمؤلف (ص ١٥٧).

ولا اختلاف، تَيَقَّنَ أَنَّهُ: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١) [فصلت: ٤٢]، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، لَوُجِدَ فِيهِ مِنَ التَّنَاقُضِ وَالْاِخْتِلَافِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مُقَوِّياتِ الْإِيمَانِ، وَيُقَوِّيه مِنْ وَجُوهِ كَثِيرَةٍ؛ فَالْمُؤْمِنُ بِمُجَرَّدِ مَا يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ، وَيَعْرِفُ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ، وَالْأَحْكَامِ الْحَسَنَةِ - يَحْصُلُ لَهُ مِنْ أُمُورِ الْإِيمَانِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، فَكَيْفَ إِذَا أَحْسَنَ تَأَمُّلَهُ، وَفَهِمَ مَقَاصِدَهُ وَأَسْرَارَهُ؟! وَلِهَذَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ الْكُمَّلُ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ الْآيَةُ [آل عمران: ١٩٣].

٣ - وَكَذَلِكَ مَعْرِفَةُ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ عُلُومِ الْإِيمَانِ وَأَعْمَالِهِ، كُلُّهَا مِنْ مُحَصَّلَاتِ الْإِيمَانِ وَمُقَوِّياتِهِ؛ فَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً بَكْتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، ازْدَادَ إِيْمَانُهُ وَيَقِينُهُ، وَقَدْ يَصِلُ فِي عِلْمِهِ وَإِيْمَانِهِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْيَقِينِ.

فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، الَّذِينَ حَصَلَ لَهُمْ

(١) نَصُّ الْآيَةِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

العلم التام القوي، الذي يدفع الشبهات والريب، ويوجب اليقين التام؛ ولهذا كانوا سادة المؤمنين، الذين استشهد الله بهم، واحتج بهم على غيرهم من المرتابين والجاحدين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

فالراسخون زال عنهم الجهل والريب وأنواع الشبهات، وردوا المتشابهة من الآيات إلى المحكم منها، وقالوا: آمنا بالجميع، فكلها من عند الله، وما منه وما تكلم به وحكم به كله حق وصدق.

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وبعلمهم بالقرآن العلم التام، وإيمانهم الصحيح: استشهد بهم في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

أَوْثُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿الرُّومُ: ٥٦﴾ .

وأخبر تعالى في عِدَّةِ آيَاتٍ أَنَّ الْقُرْآنَ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلِلْمُوقِنِينَ؛ لَأَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُمْ بِتِلَاوَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ بِحَسَبِ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ؛ فَلَا يَزَالُونَ يَزْدَادُونَ عِلْمًا وَإِيمَانًا وَيَقِينًا .

❏ فَالتَّدْبِيرُ لِلْقُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ الطَّرِيقِ وَالْوَسَائِلِ الْجَالِبَةِ لِلْإِيمَانِ وَالْمُقَوِّيةِ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] .

فاستخراجُ بَرَكَةِ الْقُرْآنِ - الَّتِي مِنْ أَهَمِّهَا حُصُولُ الْإِيمَانِ - سَبِيلُهُ وَطَرِيقُهُ تَدْبِيرُ آيَاتِهِ وَتَأْمُلُهَا .

كَمَا ذَكَرَ أَنَّ تَدْبِيرَهُ يُوقِفُ الْجَا حِدَ عَنْ جُحُودِهِ، وَيَمْنَعُ الْمُعْتَدِيَّ عَلَى الدِّينِ مِنْ اعْتِدَائِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] .

أَيُّ: فَلَوْ تَدَبَّرُوهُ حَقَّ تَدْبِيرِهِ، لَمَنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَأَوْجَبَ لَهُمُ الْإِيمَانَ وَاتِّبَاعَ مَنْ جَاءَ بِهِ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩]؛

أَي: فَلَوْ حَصَلَ لَهُمُ الْإِحَاطَةُ بِعِلْمِهِ لَمَنَعَهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ،
وَأَوْجَبَ لَهُمُ الْإِيمَانَ.

٤ - وَمِنْ طُرُقِ مُوجِبَاتِ الْإِيمَانِ وَأَسْبَابِهِ: مَعْرِفَةُ
النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ،
وَالْأَوْصَافِ الْكَامِلَةِ.

فَإِنَّ مَنْ عَرَفَهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَرْتَبْ فِي صِدْقِهِ،
وَصِدْقٍ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالذِّينِ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٩]؛
أَي: فَمَعْرِفَتُهُ ﷺ تُوجِبُ لِلْعَبْدِ الْمُبَادَرَةَ إِلَى الْإِيمَانِ مِمَّنْ لَمْ
يُؤْمِنْ، وَزِيَادَةَ الْإِيمَانِ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى - حَاشَا لَهُمْ عَلَى تَدَبُّرِ أَحْوَالِ الرَّسُولِ
الدَّاعِيَةِ لِلْإِيمَانِ -: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى
وَفَرْدَى ثُمَّ تَنَفَّكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ
بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبا: ٤٦].

وَأَقْسَمَ تَعَالَى بِكَمَالِ هَذَا الرَّسُولِ، وَعَظَمَةِ أَخْلَاقِهِ،
وَأَنَّهُ أَكْمَلُ مَخْلُوقٍ بِقَوْلِهِ: ﴿تَوَّابٌ وَأَلْقَامٌ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ❶ مَا أَنْتَ
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ❷ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ❸ وَإِنَّكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ ❹ [القلم: ١ - ٤].

فهو ﷺ أكبرُ داعٍ للإيمانِ في أوصافِهِ الْحَمِيدَةِ، وشمائِلِهِ الْجَمِيلَةِ، وأقوالِهِ الصَّادِقَةِ النَّافِعَةِ، وأفعالِهِ الرَّشِيدَةِ، فهو الإمامُ الأعظمُ، والقُدْوَةُ الأكْمَلُ، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقد ذَكَرَ اللهُ عن أولي الألبابِ الَّذِينَ هُمْ خَوَاصُّ الْخَلْقِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾؛ وهو هذا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَنِ﴾، بقَوْلِهِ، وَخُلُقِهِ، وَعَمَلِهِ، وَدِينِهِ، وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ؛ ﴿فَقَامْنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]؛ أَي: إِيْمَانًا لَا يَدْخُلُهُ رَيْبٌ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْإِيْمَانُ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُقَرَّبُ الْعَبْدَ إِلَى اللَّهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ، تَوَسَّلُوا بِإِيْمَانِهِمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ السَّيِّئَاتِ، وَيُنِيلَهُمُ الْمَطَالِبَ الْعَالِيَاتِ، فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَقَامْنَا رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

ولهذا كَانَ الرَّجُلُ الْمُنْصِيفُ؛ الَّذِي لَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ إِلَّا اتِّبَاعَ الْحَقِّ، مَجَرَّدًا مَا يَرَاهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، يُبَادِرُ إِلَى الْإِيْمَانِ،

ولا يرتاب في رسالته؛ بل كثير منهم، مجرد ما يرى وجهه الكريم، يعرف أنه ليس بوجه كذاب^(١).

وقيل لبعضهم: لم بادرت إلى الإيمان بمحمد قبل أن تعرف رسالته؟ فقال: «ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به»^(٢)؛ فاستدل هذا العاقل الموفق بحسن شريعته ﷺ، وموافقتها للعقول الصحيحة على رسالته؛ فبادر إلى الإيمان.

ولهذا استدلل ملك الروم هرقل - لما وُصف له ما جاء به الرسول وما كان يأمر به، وما ينهى عنه - استدلل بذلك أنه من أعظم الرسل؛ واعترف بذلك اعترافاً جلياً^(٣)، ولكن منعتُه الرئاسة وخشية زوال ملكه من اتباعه، كما منعت كثيراً

(١) جاء ذلك عن الصحابي الجليل عبد الله بن سلام ﷺ. أخرجه أحمد

(٢٣٧٨٤)، والترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وإسناده صحيح.

(٢) نسبة ابن القيم في المدارج (٢٣٥/١) إلى بعض الأعراب. وفي الروض

الأنف (٣٩١/٤) قال العلاء بن الحضرمي ﷺ للمنذر بن ساوى ملك

البحرين: «هذا هو النبي ﷺ الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن

يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به. أو ليته زاد في

عفوه أو نقص من عقابه». وينظر: الجواب الصحيح (٣٢٩/١).

(٣) أخرج قصته بطولها البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن

عباس ﷺ.

مَمَّنِ اتَّضَحَ لَهُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وهذا من أكبر موانع الإيمان في حقِّ أمثال هؤلاء.

وأما أهل البصائر والعقول الصحيحة، فإنَّهم يَرَوْنَ هذه الموانع والرياسات والشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ تَضَمُّحِلُّ، ولا يَرَوْنَ لها قِيَمَةً، حتَّى يُعَارِضَ بها الحقُّ الصَّحِيحُ النَّافِعُ، المُثْمِرُ للسَّعَادَةِ عاجِلًا وآجِلًا.

ولهذا السَّبَبِ الأعْظَمِ كَانَ الْمُعْتَنُونَ بِالْقُرْآنِ حِفْظًا ومعرفةً، والمُعْتَنُونَ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أعْظَمَ إِيمَانًا وَيَقِينًا من غَيْرِهِمْ، وَأَحْسَنَ عَمَلًا في الغالب.

٥ - ومن أسباب الإيمان ودَوَاعِيهِ: التَّفَكُّرُ في الْكَوْنِ؛ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وما فِيهِنَّ مِنَ المَخْلُوقَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ، والنَّظَرُ في نَفْسِ الْإِنْسَانِ، وما هو عليه مِنَ الصِّفَاتِ.

فإنَّ ذَلِكَ دَاعٍ قَوِيٌّ لِلْإِيمَانِ، لِمَا في هذه المَوْجُودَاتِ مِنْ عَظَمَةِ الْخَلْقِ الدَّالِّ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِهَا وَعَظَمَتِهِ، وما فيها مِنَ الْحُسْنِ والانتظامِ والإحكامِ الَّذِي يُحَيِّرُ الْأَلْبَابَ، الدَّالِّ عَلَى سَعَةِ عِلْمِ اللَّهِ، وَشُمُولِ حِكْمَتِهِ، وما فيها من أَصْنَافِ

المنافع والنعم الكثيرة التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، الدالة على سعة رحمة الله، وجوده وبره. وذلك كله يدعو إلى تعظيم مُبدعها وبارئها وشكره، واللَّهج بذكره وإخلاص الدين له؛ وهذا هو رُوح الإيمان وسره.

وكذلك النَّظَرُ إلى فقر المخلوقات كُلِّها، واضطرارها إلى ربِّها من كُلِّ الوجوه، وأنها لا تستغني عنه طرفة عينٍ خصوصًا ما تُشاهدُه في نفسك؛ من أدلة الافتقار، وقُوَّة الاضطرار.

وذلك يُوجب للعبد كمال الخُضوع، وكثرة الدُّعاء والتَّضرُّع إلى الله في جلب ما يحتاجُه من منافع دينه ودُنياه، ودفع ما يضرُّه في دينه ودُنياه، ويُوجب له قُوَّة التَّوَكُّلِ على ربِّه، وكمال الثَّقة بوَعده، وشِدَّة الطَّمع في برِّه وإحسانه. وبهذا يتحقَّق الإيمان، ويقوى التَّعبُد؛ فإنَّ الدُّعاء مُخُّ العبادة وخالصُها.

وكذلك التَّفَكُّرُ في كَثَرَةِ نِعَمِ الله وآلائه العامَّةِ والخاصَّةِ، التي لا يخلو منها مخلوق طرفة عينٍ؛ فإنَّ هذا يدعو إلى الإيمان.

ولهذا دَعَا اللهُ الرُّسُلَ والمُؤْمِنِينَ إِلَى شُكْرِهِ؛ فَقَالَ:
﴿يَتَائِبَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن
كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، فالإيمانُ يَدْعُو إلى
الشُّكْرِ، والشُّكْرُ يَنْمُو به الإيمانُ، فكلُّ منهما مُلَازِمٌ ومَلَزُومٌ
لِلْآخَرِ.

٦ - وَمِنْ أَسْبَابِ دَوَاعِي^(١) الْإِيمَانِ: الْإِكْتِثَارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ
كُلِّ وَقْتٍ، وَمِنْ الدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ مُخُّ الْعِبَادَةِ^(٢).

❏ فَإِنَّ الذِّكْرَ لِلَّهِ يَغْرِسُ شَجَرَةَ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ،
وَيُعْذِّبُهَا وَيُنَمِّيْهَا، وَكُلَّمَا ازْدَادَ الْعَبْدُ ذِكْرًا لِلَّهِ، قَوِيَ إِيْمَانُهُ،
كَمَا أَنَّ الْإِيمَانَ يَدْعُو إِلَى كَثْرَةِ الذِّكْرِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ اللهُ أَكْثَرَ مِنْ
ذِكْرِهِ. وَمَحَبَّةُ اللهِ هِيَ الْإِيمَانُ، بَلْ هِيَ رُوحُهُ.

٧ - وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلْإِيمَانِ: مَعْرِفَةُ مُحَاسِنِ
الدِّينِ.

فإِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ كُلُّهُ مُحَاسِنٌ: عَقَائِدُهُ أَصَحُّ الْعَقَائِدِ
وَأَصْدَقُهَا وَأَنْفَعُهَا، وَأَخْلَاقُهُ أَحْمَدُ الْأَخْلَاقِ وَأَجْمَلُهَا،

(١) كذا في الأصل. والصواب: ومن أسباب الإيمان ودواعيه.

(٢) ينظر: أحكام الجنائز للألباني (ص ١٩٤).

وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها، وبهذا النظر الجليل يُزَيَّنُ الله الإيمان في قلب العبد، ويحبُّه إليه، كما امتنَّ الله به على خيار خلقه بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ أَلَا يَمُنُّ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، فيكون الإيمان في القلب أعظم المحبوبات وأجمل الأشياء، وبهذا يذوق العبد حلاوة الإيمان ويجدها في قلبه، فيتجمل الباطن بأصول الإيمان وحقائقه، وتتجمل الجوارح بأعمال الإيمان، وفي الدعاء المأثور: (اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ) (١).

٨ - ومن أعظم مقويات الإيمان: الاجتهاد في التحقق في مقام الإحسان، في عبادة الله والإحسان إلى خلقه؛ فيجتهد أن يعبد الله كأنه يشاهده ويراه، فإن لم يقوَ على هذا، استحضر أن الله يشاهده ويراه، فيجتهد في إكمال العمل وإتقانه، ولا يزال العبد يُجاهد نفسه ليتحقق بهذا المقام العالي، حتى يقوى إيمانه ويقينه، ويصل في ذلك إلى حق

(١) أخرجه النسائي (١٣٠٥، ١٣٠٦)، من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (١٩٧١)، وقال الحاكم (١٩٢٣): «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الشوكاني في نيل الأوطار (٣٣٣/٢): «رجال إسناده ثقات». وصححه الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية (ص ١٠٠).

الْيَقِينِ - الَّذِي هُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْيَقِينِ - فَيَذُوقُ حَلَاوَةَ الطَّاعَاتِ، وَيَجِدُ ثَمَرَةَ الْمُعَامَلَاتِ، وَهَذَا هُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ.

وكَذَلِكَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْمَالِ وَالْجَاهِ وَأَنْوَاعِ الْمَنَافِعِ - هُوَ مَنْ الْإِيمَانِ، وَمِنْ دَوَاعِي الْإِيمَانِ، وَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ فَكَمَا أَحْسَنَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ، وَأَوْصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ بَرِّهِ، مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ: أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْوَاعًا مِنَ الْإِحْسَانِ، وَمِنْ أَفْضَلِهَا: أَنْ يُقَوِّيَ إِيْمَانَهُ وَرَغْبَتَهُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى رَبِّهِ، وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ.

وَبِذَلِكَ يَتَحَقَّقُ الْعَبْدُ بِالنُّصْحِ لِلَّهِ وَلِعِبَادِهِ؛ فَإِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةَ، وَمَنْ وُفِّقَ لِلْإِحْسَانِ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَالْإِحْسَانِ فِي مُعَامَلَةِ الْخَلْقِ، فَقَدْ تَحَقَّقَ نُصْحُهُ.

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١).

٩ - وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الْآيَةُ [المؤمنون: ١ - ١٠]:

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٣)، وَمُسْلِمٌ (٤٥)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذه الصفات الثمان^(١)، كل واحدة منها تُثمر الإيمان وتُنميه، كما أنها من صفات الإيمان وداخله في تفسيره كما تقدّم.

○ فحضور القلب في الصلاة، وكون المصلي يُجاهد نفسه على استحضار ما يقوله ويفعله؛ من القراءة والذكر والدعاء فيها، ومن القيام والقعود، والرُّكوع والسُّجود: من أسباب زيادة الإيمان ونُموّه.

وتقدّم أن الله سمى الصلاة إيماناً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فهي أكبر ناهٍ عن كل فحشاء ومنكر ينافي الإيمان، كما أنها تحتوي على ذكر الله، الذي يغذي الإيمان وينميه؛ لقوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

○ والزكاة كذلك تُنمي الإيمان وتزيده، وهي - فرضها

(١) بل صفات المؤمنين هنا سبع: الخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو، وأداء الزكاة، والعفة عن الفواحش، ورعاية الأمانات، ورعاية العهود، والمحافظة على الصلوات. أما صفات المُفلِحين فهي ثمان، بزيادة صفة الإيمان.

وَنَفَلَهَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - برهان^(١) على إيمان صاحبها؛
فهي دليل الإيمان، وتغذيه وتُثَمِّيه.

○ والإعراضُ عن اللُّغو - الَّذِي هُوَ كُلُّ كَلَامٍ لَا خَيْرَ
فيه، وَكُلُّ فِعْلٍ لَا خَيْرَ فِيهِ، بَلْ يَقُولُونَ الْخَيْرَ وَيَفْعَلُونَهُ،
وَيَتْرُكُونَ الشَّرَّ قَوْلًا وَفِعْلًا - لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَيَزِدَادُ
به الْإِيمَانُ، وَيُثَمِّرُ الْإِيمَانُ.

ولهذا كَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، إِذَا وَجَدُوا غَفْلَةً
أَوْ تَشَعَّتْ إِيْمَانُهُمْ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ
سَاعَةً»^(٢)، فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ، وَيَذْكُرُونَ نِعَمَهُ الدِّينِيَّةَ وَالدُّنْيَوِيَّةَ؛
فَيَتَجَدَّدُ بِذَلِكَ إِيْمَانُهُمْ.

○ وكذلك الْعِفَّةُ عَنِ الْفَوَاحِشِ - خُصُوصًا فَاحِشَةُ الزُّنَا -
لَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ عِلَامَاتِ الْإِيمَانِ وَمُنَمِّيَاتِهِ؛ فَالْمُؤْمِنُ
لِخَوْفِهِ مَقَامَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى إِبْجَابَةً لِدَاعِي
الْإِيمَانِ، وَتَغْذِيَةً لِمَا مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ.

(١) قَالَ ﷺ: (وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٢٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ
الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) عُلِقَ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُعَاذِ ﷺ بِصِيغَةِ الْجَزْمِ، فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ، بَابِ الْإِيمَانِ
وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ)، وَوَصَلَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي
الْمُصَنَّفِ (٣٠٣٦٣، ٣٠٣٦٥، ٣٤٦٩٨)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ (١/ ٢٣٥).

○ ورعاية الأمانات والعهود وحفظها من علائم الإيمان؛ وفي الحديث: (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ) ^(١).

وإذا أردت أن تعرف إيمان العبد ودينه فانظر حاله، هل يرعى الأمانات كلها، مالية أو قولية أو أمانات الحقوق؟ وهل يرعى الحقوق والعهود والعقود التي بينه وبين الله، والتي بينه وبين العباد؟ ^(٢).

فإذا كان كذلك، فهو صاحب دين وإيمان، وإن لم يكن كذلك نقص من دينه وإيمانه بمقدار ما انتقص من ذلك. ○ وختمها بالمحافظة على الصلوات ^(٣)، على حدودها،

(١) أخرجه أحمد (١٢٣٨٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه ابن خزيمة (٢٣٣٥)، وابن حبان (١٩٤)، والألباني في تخريجه لكتاب الإيمان لابن أبي شيبة (١٢).

(٢) قال ابن رجب: «كثير من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده. وكثيراً ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها، والجمع بين حقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً لا يقوى عليه إلا الكمل من الأنبياء والصديقين». جامع العلوم والحكم (١/٤٥٤).

(٣) مدح ﷺ المؤمنين بالخشوع في الصلاة، ثم مدحهم بالمحافظة عليها. قال الشيخ السعدي: «لأنه لا يتم أمرهم إلا بالأمرين، فمن يداوم على الصلاة من غير خشوع، أو على الخشوع من دون محافظة عليها، فإنه مذموم ناقص». تفسير السعدي (ص ٥٤٧).

وَحُقُوقُهَا، وَأَوْقَاتُهَا؛ لِأَنَّ الْمُحَافَظَةَ عَلَى ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى بُسْتَانِ الْإِيمَانِ، فَيَسْقِيهِ وَيُنْمِيهِ وَيُؤْتِي أَكْلَهُ كُلَّ حِينٍ.

■ وشجرة، الإيمان - كما تقدّم - محتاجة إلى تعاهدها كُلَّ وَقْتٍ بِالسَّقْيِ، وهو المُحَافَظَةُ عَلَى أَعْمَالِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ، وَإِلَى إِزَالَةِ مَا يَضُرُّهَا مِنَ الصُّخُورِ وَالنَّوَابِتِ الْغَرِيبَةِ الضَّارَّةِ، وهو الْعِقَّةُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَمَتَى تَمَّتْ هَذِهِ الْأُمُورُ نَمَّا هَذَا الْبُسْتَانُ وَزَهَا، وَأَخْرَجَ الثَّمَارَ الْمَتَنُوعَةَ.

١٠ - وَمِنْ دَوَاعِي الْإِيمَانِ وَأَسْبَابِهِ: الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى دِينِهِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى أَصْلِ الدِّينِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى التَّزَامِ شَرَائِعِهِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَبِذَلِكَ يَكْمُلُ الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ، وَيُكْمَلُ غَيْرُهُ، كَمَا أَقْسَمَ تَعَالَى بِالْعَصْرِ أَنَّ جِنْسَ الْإِنْسَانِ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِصِفَاتٍ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ اللَّذِينَ بِهِمَا تَكْمِيلُ النَّفْسِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالدِّينُ الْحَقُّ، وَبِالصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِهِمَا يُكْمَلُ غَيْرُهُ.

وَذَلِكَ أَنَّ نَفْسَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالنَّصِيحَةِ لِعِبَادِهِ، مِنْ

أكبر مقويات الإيمان، وصاحب الدعوة لا بُدَّ أن يسعى بنصر هذه الدعوة، ويُقيم الأدلة والبراهين على تحقيقها، ويأتي الأمور من أبوابها، ويتوسَّل إلى الأمور من طرقها، وهذه الأمور من طرق الإيمان وأبوابه.

وأيضًا: فإنَّ الجزاء من جنس العمل؛ فكما سعى إلى تكميل العباد ونصحهم وتوصيتهم بالحق، وصبر على ذلك، لا بُدَّ أن يُجازيه الله من جنس عمله، ويؤيِّده بنور منه، وروح وقوة إيمان، وقوة توكل؛ فإنَّ الإيمان وقوة التوكل على الله، يحصل به النصر على الأعداء من شياطين الإنس وشياطين الجن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

وأيضًا: فإنَّه مُتَّصِدٌ لنصر الحق؛ ومن تصدَّى لشيءٍ فلا بُدَّ أن يفتح عليه فيه من الفتوحات العلمية والإيمانية بمقدار صدقه وإخلاصه.

فصل

١١ - ومن أهمَّ موادَّ الإيمان ومقوياته: توطيئ النفس على مقاومات ما يُنافي الإيمان؛ من شُعب الكفر والنفاق، والفسوق والعصيان.

فإنَّه كما أنَّه لا بُدَّ في الإيمانِ مِنْ فعلِ جميعِ الأسبابِ
المُقَوِّيةِ المُنْمِيَةِ له؛ فلا بُدَّ - مع ذلك - مِنْ دَفْعِ المَوَانِعِ
والعَوَائِقِ، وهي^(١): الإِقْلَاعُ عَنِ المَعَاصِي، والتَّوْبَةُ ممَّا يَقَعُ
مِنْهَا، وَحِفْظُ الجَوَارِحِ كُلِّهَا عَنِ المَحْرَمَاتِ، ومُقَاوَمَةُ فِتَنِ
الشُّبُهَاتِ القَادِحَةِ فِي عُلُومِ الإيمانِ، المُضْعِفَةِ له، والشَّهَوَاتِ
المُضْعِفَةِ لِإِرَادَاتِ الإيمانِ؛ فَإِنَّ الإِرَادَاتِ الَّتِي أَصْلُهَا الرَّغْبَةُ فِي
الْخَيْرِ وَمَحَبَّتُهُ والسَّعْيُ فِيهِ، لَا تَتِمُّ إِلَّا بِتَرْكِ إِرَادَاتِ مَا يُنَافِيهَا؛
مِنْ رَغْبَةِ النَّفْسِ فِي الشَّرِّ، ومُقَاوَمَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ.

فَمَتَى حُفِظَ الْعَبْدُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي فِتَنِ الشُّبُهَاتِ، وَفِتَنِ
الشَّهَوَاتِ، تَمَّ إِيْمَانُهُ، وَقَوِيَ يَقِينُهُ، وَصَارَ مَثَلُ بُسْتَانِ إِيْمَانِهِ:
﴿كَمْثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ
لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وَمَتَى كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ؛ بِأَنْ اسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ
الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، وَوَقَعَ فِي فِتَنِ الشُّبُهَاتِ أَوْ الشَّهَوَاتِ،
أَوْ كِلَيْهِمَا، انْطَبَقَ عَلَيْهِ هَذَا الْمَثَلُ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَيُّدُ
أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

(١) أي: وذلك بالإقلاع... إلخ.

الأنهر له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
فأصابها عصاؤه فيه نار فاحترقت كذلك يبيّن الله لكم
الآيات لعلكم تتفكرون»^(١) [البقرة: ٢٦٦].

فالعبد المؤمن الموفق لا يزال يسعى في أمرين:
أحدهما: تحقيق أصول الإيمان وفروعه والتحقق بها
علماً وعملاً وحالاً.

والثاني: السعي في دفع ما ينافيها وينقضها أو ينقصها
من الفتن الظاهرة والباطنة، ويداوي ما قصر فيه من الأول
وما تجرأ عليه من الثاني بالتوبة النصوح، وتدارك الأمر قبل
فواته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]؛ أي:
مُبْصِرُونَ الخلل الذي وقعوا فيه، والنقص الذي أصابهم من

(١) روى البخاري في صحيحه (٤٥٣٨) بسنده عن عبيد بن عمير قال:
«قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت:
﴿أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦] قالوا: الله أعلم،
فغضب عمر رضي الله عنه، فقال: قولوا: نعم أو لا نعلم، فقال ابن عباس رضي الله
في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا
تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟
قال ابن عباس: لعمل. قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله ﷻ، ثم
بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله».

طَائِفِ الشَّيْطَانِ، الَّذِي هُوَ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ لِلْإِنْسَانِ؛ فَإِذَا أَبْصَرُوا تَذَارَكُوا هَذَا الْخَلَلَ بَسَدِهِ، وَهَذَا الْفَتْقَ بَرْتَقِهِ، فَعَادُوا إِلَى حَالِهِمُ الْكَامِلَةِ، وَعَادَ عَدُوُّهُمْ حَسِيرًا ذَلِيلًا، وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ ﴿يَمْدُونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾^(١) [الأعراف: ٢٠٢]: الشَّيَاطِينُ لَا تُقْصِرُ عَنْ إِغْوَائِهِمْ وَإِيقَاعِهِمْ فِي أَشْرَاكِ الْهَلَاكِ، وَالْمُسْتَجِيبُونَ^(٢) لَهُمْ لَا يُقْصِرُونَ عَنْ طَاعَةِ أَعْدَائِهِمْ، وَالْإِسْتِجَابَةُ لِدَعْوَتِهِمْ، حَتَّى يَقَعُوا فِي الْهَلَاكِ، وَيَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْخَسَارُ.

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا؛ وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ؛ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ؛ بِفَضْلِكَ وَمِثْلِكَ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.



(١) أصله أَنَّ صَاحِبَ الدَّابَّةِ يُمَسِّكُهَا بِرَسَنِهَا وَيَتْرَكُهَا تَرعى، وَكَلِمَا ابْتَعَدَتْ عَنْهُ مَدَّ لَهَا الْحَبْلَ لِتَرعى، فَإِذَا قَارَبَتْ أَنْ تَرِدَ مَا فِيهِ عَلَيْهَا ضَرُرٌّ أَقْصَرَ لَهَا وَجَذَبَهَا إِلَيْهِ. فَالْمَعْنَى: وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَهُمْ الْفَجَّارُ تَمْدُّهُمْ الشَّيَاطِينُ لِيرْعُوا فِي مِرَاعِي الْغَيِّ، فَيَقْبَلُونَ مِنْهُمْ وَيَقْتَدُونَ بِهِمْ. ثُمَّ لَا تُقْصِرُ الشَّيَاطِينُ لَهُمْ، وَلَا تَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ، بَلْ تَزِيدُهُمْ وَسُوسَةً وَإِضْلَالًا حَتَّى يَهْلِكُوا. زبدة التفسير (ص ١٧٦).

(٢) فِي الْأَصْلِ: وَالْمُسْتَجِيبِينَ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

في فوائد الإيمان وثمراته ^(١)

كَمْ لِلإِيمَانِ الصَّحِيحِ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالثَّمَرَاتِ الْعَاجِلَةِ
وَالْآجِلَةِ، فِي الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَالرَّاحَةِ وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، [فِي]
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَمْ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ الْإِيمَانِيَّةِ مِنَ الثَّمَارِ
الْيَانِعَةِ، وَالْجَنَى اللَّذِيزِ، وَالْأَكْلِ الدَّائِمِ، وَالْخَيْرِ الْمُسْتَمِرِّ.
أُمُورٌ لَا تُحْصَى، وَفَوَائِدٌ لَا تُسْتَقْصَى.

وَمُجْمَلُهَا: أَنَّ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَدَفْعَ الشُّرُورِ
كُلُّهَا مِنْ ثَمَرَاتِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِذَا
ثَبَتَتْ وَقَوِيَتْ أَصُولُهَا، وَتَفَرَّعَتْ فُرُوعُهَا، وَزَهَتْ أَغْصَانُهَا،
وَأَيَنْعَتْ أَفْنَانُهَا: عَادَتْ عَلَى صَاحِبِهَا وَعَلَى غَيْرِهِ، بِكُلِّ خَيْرٍ
عَاجِلٍ وَآجِلٍ:

(١) ينظر: فصل في ثمرات الإيمان في تيسير اللطيف المنان للمؤلف (ص ٣٩).

١ - فَمِنْ أَعْظَمِ ثَمَارِهَا: الْاِغْتِبَاطُ بِوَلَايَةِ اللَّهِ الْخَاصَّةِ،
الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مَا تَنَافَسَ فِيهِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَأَجَلُ مَا حَصَلَهُ
الْمُؤَفَّقُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

فَكُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ، فَهُوَ لِلَّهِ وَلِيٌّ^(١) وَلَايَةٌ خَاصَّةٌ، مِنْ
ثَمَرَاتِهَا مَا قَالَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أَيْ: يُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ
الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ،
وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْمَعَاصِي إِلَى نُورِ الطَّاعَةِ، وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْغَفْلَةِ
إِلَى نُورِ الْيَقَظَةِ وَالذِّكْرِ.

وَحَاصِلُ ذَلِكَ: أَنَّهُ يُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الشُّرُورِ
الْمُتَنَوِّعَةِ، إِلَى مَا يَرْفَعُهَا مِنْ أَنْوَارِ الْخَيْرِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ.

وَأَمَّا حَازُوا هَذَا الْعَطَاءَ الْجَزِيلَ بِإِيمَانِهِمُ الصَّحِيحِ،
وَتَحْقِيقِهِمْ هَذَا الْإِيمَانَ بِالتَّقْوَى؛ فَإِنَّ التَّقْوَى مِنْ تَمَامِ
الْإِيمَانِ، كَمَا تَقَدَّمَ تَحْقِيقُهُ.

(١) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي مِنْهَاجِ السَّنَةِ (١٧/٧).

٢ - وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: الْفَوْزُ بِرِضَا اللَّهِ، وَدَارِ
 كَرَامَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
 يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ
 مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١ - ٧٢].

فَنَالُوا رِضَا رَبِّهِمْ وَرَحْمَتَهُ، وَالْفَوْزَ بِهَذِهِ الْمَسَاكِينِ
 الطَّيِّبَةِ؛ بِإِيمَانِهِمُ الَّذِي كَمَّلُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَكَمَّلُوا غَيْرَهُمْ
 بِقِيَامِهِمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ
 عَنِ الْمُنْكَرِ، فَاسْتَوَلَوْا عَلَى أَجَلِ الْوَسَائِلِ، وَأَفْضَلَ الْغَايَاتِ،
 وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ.

٣ - وَمِنْهَا: أَنَّ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ يَمْنَعُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ؛
 وَالْإِيمَانَ - وَلَوْ قَلِيلاً - يَمْنَعُ مِنَ الْخُلُودِ فِيهَا.

فَإِنَّ مَنْ آمَنَ إِيمَانًا أَدَّى بِهِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرَكَ الْمُحَرَّمَاتِ
 فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ، كَمَا تَوَاتَرَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ
 عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا الْأَصْلِ، كَمَا تَوَاتَرَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ لَا يُحَلَّدُ

فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ، وَلَوْ يَسِيرًا^(١).

٤ - وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: أَنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ^(٢) عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
جَمِيعَ الْمَكَارِهِ، وَيُنَجِّيهِمْ مِنَ الشَّدَائِدِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]؛ أَي: يُدَافِعُ عَنْهُمْ
كُلَّ مَكْرُوهِ؛ يَدَافِعُ عَنْهُمْ شَرَّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَشَيَاطِينِ الْجِنِّ،
وَيَدَافِعُ عَنْهُمْ الْأَعْدَاءَ، وَيَدَافِعُ عَنْهُمْ الْمَكَارَةَ قَبْلَ نُزُولِهَا،
وَيَرْفَعُهَا أَوْ يُخَفِّفُهَا بَعْدَ نُزُولِهَا.

وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا وَقَعَ فِيهِ يُونُسُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - وَأَنَّهُ نَادَى ﴿فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، قَالَ: ﴿فَأَنسَجَبْنَا لَهُ
وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]:
إِذَا وَقَعُوا فِي الشَّدَائِدِ؛ كَمَا أَنَجَيْنَا يُونُسَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
(دَعْوَةُ أَخِي يُونُسَ، مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ
كُرْبَتَهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)^(٣).

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٥).

(٢) كذا في الأصل، وفي المواضع التالية. وفي تيسير اللطيف المنان
للمؤلف (ص ٤٠): (يدفع ويدافع).

(٣) رواه أحمد (١٤٦٢)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في الكبرى =

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾؛ أي: بالقيام بالإيمان ولَوَازِمِهِ، ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]؛ أي: من كُلِّ ما ضاق على النَّاسِ، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]:

فالمؤمنُ الْمُتَّقِي يُيسِّرُ اللهُ أُمُورَهُ وَيُسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَيُجَنِّبُهُ الْعُسْرَى، وَيُسَهِّلُ عَلَيْهِ الصُّعَابَ، وَيَجْعَلُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا؛ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وشواهدُ هذا كثيرةٌ^(١) من الكتابِ والسُّنَّةِ.

٥ - ومنها: أَنَّ الإيمانَ والعَمَلَ الصَّالِحَ - الَّذِي هُوَ فَرْعُهُ - يُثْمِرُ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَفِي دَارِ الْقَرَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وذلك أَنَّ مِنْ خِصَائِصِ الْإِيمَانِ، أَنَّهُ يُثْمِرُ طُمَأْنِينَةً

= (١٠٤٩٢)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. قال الحاكم (١٨٦٢): «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وحسنه ابن حجر في «النتائج» كما في الفتوحات الربانية (١١/٤). وصححه الألباني في الكلم الطيب (١٢٣).

(١) في الأصل: «كثير»، والصواب ما أثبت.

الْقَلْبِ وَرَاحَتَهُ، وَقَنَاعَتَهُ بِمَا رَزَقَ اللَّهُ، وَعَدَمَ تَعَلُّقِهِ بِغَيْرِهِ،
وهذه هي الحياة الطَّيِّبَةُ؛ فَإِنَّ أَصَلَ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ: رَاحَةُ
الْقَلْبِ وَطُمَأْنِينَتُهُ، وَعَدَمُ تَشَوُّشِهِ مِمَّا يَتَشَوَّشُ مِنْهُ الْفَاقِدُ
لِلْإِيمَانِ الصَّحِيحِ.

٦ - وَمِنْهَا: أَنَّ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ إِنَّمَا تَصِحُّ
وَتَكْمُلُ بِحَسَبِ مَا يَقُومُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْإِيمَانِ
وَالْإِخْلَاصِ؛ وَلِهَذَا يَذْكُرُ اللَّهُ هَذَا الشَّرْطَ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ كُلِّ
عَمَلٍ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ [الأنبياء: ٩٤]؛ أَيْ: لَا يُجْحَدُ سَعْيُهُ وَلَا
يَضِيعُ عَمَلُهُ، بَلْ يُضَاعَفُ بِحَسَبِ قُوَّةِ إِيْمَانِهِ.

وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وَالسَّعْيُ لِلْآخِرَةِ هُوَ: الْعَمَلُ بِكُلِّ مَا يُقَرِّبُ إِلَيْهَا وَيُذْنِي
مِنْهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَإِذَا تَأَسَّسَتْ عَلَى الْإِيمَانِ وَانْبَنَتْ عَلَيْهِ، كَانَ السَّعْيُ
مَشْكُورًا مَقْبُولًا مُضَاعَفًا، لَا يَضِيعُ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ.

وَأَمَّا إِذَا فَقَدَ الْعَمَلُ الْإِيمَانَ، فَلَوْ اسْتَغْرَقَ الْعَامِلُ لَيْلَهُ

ونهاره فإنه غير مقبول، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وذلك لأنها أسست على غير الإيمان بالله ورسوله، الذي روحه: الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٤) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥]؛ فهم لما فقدوا الإيمان، وحل محلّه الكفر بالله وآياته - حبطت أعمالهم.

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

ولهذا كانت الردة عن الإيمان تُحبط جميع الأعمال الصالحة، كما أن الدخول في الإسلام والإيمان يُجِبُّ ما قبله من السيئات وإن عظمَتْ، والتوبة من الذنوب المنافية للإيمان، والقادحة فيه، والمُنْقِصَة له - تُجِبُّ ما قبلها.

٧ - ومنها: أن صاحب الإيمان يهديه الله إلى الصراط المستقيم، ويهديه في الصراط المستقيم يهديه إلى علم

الْحَقُّ، وَإِلَى الْعَمَلِ بِهِ، وَإِلَى تَلَقِّي الْمَحَابِّ وَالشُّرُورِ
بِالشُّكْرِ، وَتَلَقِّي الْمَكَارِهِ وَالْمَصَائِبِ بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ، قَالَ
تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ
بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩].

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ
يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، قال بعضُ السَّلَفِ: «هُوَ الرَّجُلُ
تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»^(١).

ولو^(٢) لم يكن من ثمرات الإيمان إلا أنه يُسَلِّي صاحبه
عن المصائب والمكاره، الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ غُرْضَةٌ لَهَا فِي كُلِّ
وَقْتٍ. وَمُصَاحَبَةُ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ أَعْظَمُ مُسَلٍّ عَنْهَا، وَمُهِوِّنٍ
لَهَا، وَذَلِكَ لِقُوَّةِ إِيْمَانِهِ، وَقُوَّةِ تَوَكُّلِهِ، وَلِقُوَّةِ رَجَائِهِ بِثَوَابِ
رَبِّهِ، وَطَمَعِهِ فِي فَضْلِهِ، فَحَلَاوَةُ الْأَجْرِ تُخَفِّفُ مَرَارَةَ الصَّبْرِ،
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ^٣
وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٢/١١٥)، والبيهقي في الكبرى (٦٩٢٥) وفي الشعب (٩٩٧٦)، من قول علقمة بن قيس النخعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جواب (لو) محذوف للعلم به، والتقدير: لكان ذلك أكبر داعٍ للتمسُّك به والحرص عليه.

ولهذا تجد اثنين تُصيبُهُم مُصِيبَةٌ واحدةٌ أو مُتقاربةٌ - وأحدهما عنده إيمانٌ، والآخرُ فاقِدٌ له - تجدُ الفرقَ العظيمَ بينَ حالَيْهِمَا، وتأثيرِها في ظاهِرِهما وباطِنِهما. وهذا الفرقُ راجعٌ إلى الإيمانِ والعملِ بمقتضاهُ.

وكما أنَّه يُسَلِّي عندَ وُرودِ المصائبِ والمكارِه، فإنَّه يُسَلِّي عندَ فَقْدِ المَحَبِّ، فإذا فَقَدَ المؤمنُ حَبِيبَهُ الَّذِي تَمَكَّنَ حُبُّهُ مِنْ قَلْبِهِ؛ مِنْ أَهْلِ وَوَلَدٍ وَمَالٍ وَصَدِيقٍ وَشَبِيبِهَا، تَسَلَّى بِحَلَاوَةِ إِيْمَانِهِ. والإيمانُ خَيْرُ عَوَظٍ لِلْمُؤْمِنِ عَنْ كُلِّ مَفْقُودٍ، كما هو مُشَاهَدٌ مُجَرَّبٌ.

وَفَقْدُ المَحْبُوبِ - في الحقيقة - مَعْدُودٌ مِنَ المصائبِ، وَلَوْلَا^(١) أَنَّ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عندهُ مِنَ الإِيْمَانِ مَا يُهَوِّنُ عَلَيْهِ مُصِيبَتُهُ فِي فَقْدِ يُوسُفَ مع شِدَّةِ حُبِّهِ العَظِيمِ، بَحَيْثُ قَالَ لِإِخْوَتِهِ - لَمَّا طَلَبُوا مِنْهُ بَعْضَ يَوْمٍ، أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُمْ لِيَرْتَعَ وَيَلْعَبَ -: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ [يوسف: ١٣]، فَأَخْبَرَ أَنَّ المَانِعَ لَهُ مِنْ إِرْسَالِهِ، أَنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَى فِرَاقِهِ وَلَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَلَكِنَّهُمْ عَالِجُوهُ، وَذَكَرُوا لَهُ

(١) لم يرد ذكر جواب (لولا)، ولعلّه حذف للعلم به، والتقدير: لهلك حزناً.

الأسباب التي تُوجبُ له أن يُرسلَهُ معهم، فأرسلَهُ، ﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]، فمن هذه حالُهُ، وهذا حُبُّه البليغُ الَّذي لا يُمكنُ المُعَبَّرُ أن يُعَبَّرَ عنه - هل يدخلُ في الذَّهنِ أَنَّهُ يَبْقَى هذه المُدَّة الطَّويلة على الوجودِ؟! بل يَغْلِبُ على الظَّنِّ أَنَّ الحُبَّ يُفْتَتُّ كِبِدُهُ بِأَسْرَعِ وَقْتٍ، ولكنَّ قُوَّةَ الإيمانِ وقُوَّةَ الرَّجاءِ باللهِ أوجبَ له أن يَتَمَّاسَكَ كُلَّ هذه المُدَّة، حتَّى جاءَ اللهُ بالفَرَجِ الَّذي وُعدَ به المؤمنونَ.

وكذلك أمُّ موسى؛ حينَ ذَهَبَ اليَمُّ بِمُوسَى، وأصبحَ فؤادُها فارغًا من كُلِّ شَيْءٍ إلا من الحُزْنِ على مُوسَى، لولا أَنَّ اللهَ رَبَطَ على قلبِها بالإيمانِ، وَعَلِمَتْ أَنَّ وَعَدَ اللهِ حَقٌّ لَكَادَتْ تُبْدي بما في قلبِها، وتُصرِّحُ بِمُصِيبَتِها، ولكن هو الإيمانُ المُثَبَّتُ عندَ الشَّدائدِ، المُسَلِّي عندَ المصائبِ، المُقْوِي إذا وَهَنَتِ القُوى، المُعْزِي إذا عَزَّ العَزَا.

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ - في وَصِيَّتِهِ العَظِيمَةِ في حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ الصَّحِيحِ الَّذي في السُّنَنِ -: (تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرِّخَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ)^(١)؛ أَي: تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ بِالْإِيمَانِ

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦) وصحَّحه. وصحَّحه القرطبي =

وأعمال الإيمان وأنت صحيحٌ صحيحٌ غنيٌّ، يَعْرِفَكَ اللهُ في الشَّدَّةِ، يُقَوِّيكَ على مُبَاشَرَتِهَا وَيُعِينُكَ على مُعَالَجَتِهَا. وأعظمُ شِدَّةٍ تَنْزِلُ بالمؤمنِ شِدَّةُ المَوْتِ وَسَكَرَاتُهُ.

فهذا الحديثُ بُشِّرَى لِكُلِّ مُؤْمِنٍ قد تَعَرَّفَ إلى رَبِّهِ في رَخَائِهِ، أن يُعِينَهُ في ذَلِكَ المَقَامِ الحَرَجِ، والشَّدَّةِ المُزْعِجَةِ، وَضَعْفِ القُوَى، وتكاثُفِ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أن يَحُولُوا بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ خَتَمِ حَيَاتِهِ بِالْخَيْرِ، فَإِنَّ اللهَ يُعِينُهُ بِتَأْيِيدِهِ، وَرَوْحِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

٨ - وَمِنْ ثَمَرَاتِ الإِيمَانِ وَلَوَازِمِهِ - مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ - مَا ذَكَرَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]؛ أَي: بِسَبَبِ إِيْمَانِهِمْ وَأَعْمَالِ الإِيمَانِ، يُحِبُّهُمْ اللهُ وَيَجْعَلُ لَهُمُ المَحَبَّةَ في قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللهُ وَأَحَبَّهُ المُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِهِ حَصَلَتْ لَهُ السَّعَادَةُ والفَلَاحُ، والفَوَائِدُ الكَثِيرَةُ مِنْ مَحَبَّةِ المُؤْمِنِينَ؛ مِنَ الثَّنَاءِ والدُّعَاءِ لَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا، والاقْتِدَاءِ بِهِ، وَحُصُولِ الإِمَامَةِ فِي الدِّينِ.

وهذه أيضًا من أَجَلِّ ثمراتِ الإيمانِ: أن يجعلَ اللهُ
لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَمَّلُوا إيمانَهُم بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِسَانَ صِدْقٍ،
وَيَجْعَلَهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ
أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾
[السجدة: ٢٤]؛ فَبِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ - اللَّذِينَ هُمَا رَأْسُ مَالِ الْإِيمَانِ
وَكَمَالُهُ - نَالُوا الإمامةَ في الدِّينِ^(١).

٩ - ومنها قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]: فأهلُ الإيمانِ والعِلْمِ
يَرْفَعُهُم اللهُ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُمْ أَعْلَى الْخَلْقِ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ
وعِنْدَ عِبَادِهِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وإنما نالوا هذه الرَّفْعَةَ بِإِيمَانِهِمُ الصَّحِيحِ وَعِلْمِهِمُ
وَيَقِينِهِمُ، وَالْعِلْمُ وَالْيَقِينُ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ.

١٠ - وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ: حُصُولُ الْبِشَارَةِ بِكَرَامَةِ اللهِ،
وَالْأَمْنِ التَّامِّ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ:

كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣، والتوبة:
١١٢، ويونس: ٨٧، والأحزاب: ٤٧، والصف: ١٣]؛ فَأُطْلِقَهَا لِيَعْمَّ الْخَيْرَ

(١) هذه العبارة لشيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٣/٣٥٨).

العاجِلَ والآجِلَ، وقَيِّدها في مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، فَلَهُمُ الْبِشَارَةُ الْمُطْلَقَةُ وَالْمُقَيَّدَةُ.

• وَلَهُمُ الْأَمْنُ الْمُطْلَقُ؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]:

• وَلَهُمُ الْأَمْنُ الْمُقَيَّدُ؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

فَنَقَى عَنْهُمْ الْخَوْفَ لِمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ، وَالْحُزْنَ مِمَّا مَضَى عَلَيْهِمْ؛ وَبِذَلِكَ يَتِمُّ لَهُمُ الْأَمْنُ.

فَالْمُؤْمِنُ لَهُ الْأَمْنُ التَّامُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ أَمِنْ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، وَأَمِنْ مِنْ جَمِيعِ الْمَكَارِهِ وَالشُّرُورِ، وَلَهُ الْبِشَارَةُ التَّامَّةُ بِكُلِّ خَيْرٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤].

وَيُوضِّحُ هَذِهِ الْبِشَارَةَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٢٠) نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿فصلت: ٣٠ - ٣٢﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

فرتب على الإيمان حصول الثواب المضاعف، وكمال النور الذي يمشي به العبد في حياته، ويمشي به يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحديد: ١٢]، فالمؤمن من يمشي في الدنيا بنور علمه وإيمانه، وإذا أطفئت الأنوار يوم القيامة، مشى بنوره على الصراط حتى يجوز به إلى دار الكرامة والتَّعِيم. وكذلك رتب المغفرة على الإيمان، ومن غُفِرَتْ سَيِّئَاتُهُ سَلِمَ مِنَ الْعِقَابِ، ونال أعظم الثواب.

١١ - ومن ثمرات الإيمان: حصول الفلاح، الذي هو إدراك غاية الغايات، فإنه إدراك كل مطلوب، والسلامة من كل مرهوب، والهدى الذي هو أشرف الوسائل.

كما قال تعالى بعدَ ذكرِهِ الْمُؤْمِنِينَ بما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ وما أُنْزِلَ على مَنْ قَبْلَهُ، والإيمانَ بِالْغَيْبِ، وإِقامة الصَّلَاةِ وإِيتاءَ الزَّكَاةِ - اللَّتَيْنِ هُمَا مِنْ أعْظَمِ آثارِ الإيمانِ - قالَ تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

فهذا هو الهُدَى التَّامُّ والفلاحُ الكاملُ.

فلا سَبِيلَ إلى الهُدَى والفلاحِ - اللَّذَيْنِ لا صلاحَ ولا سعادةَ إلا بهما - إلا بالإيمانِ التَّامِّ بِكُلِّ كتابٍ أنزَلَهُ اللهُ، وبِكُلِّ رسولٍ أرسَلَهُ اللهُ، فالهُدَى أَجَلُ الوسائلِ، والفلاحُ أكْمَلُ الغاياتِ.

١٢ - وَمِنْ ثَمَرَاتِ الإيمانِ: الانتفاعُ بالمواعِظِ والتذكيرِ

والآياتِ:

قالَ تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٧].

وهذا لأنَّ الإيمانَ يَحْمِلُ صاحِبَهُ على التزامِ الحَقِّ واتباعِهِ عِلْماً وَعَمَلًا، وكذلكَ مع الآلةِ العظيمةِ والاستعدادِ

لِتَلْقَى المَوَاعِظَ النَّافِعَةَ وَالآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى الْحَقِّ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ
مَانِعٌ يَمْنَعُهُ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَلَا مِنْ الْعَمَلِ بِهِ.

وأيضاً: فالإيمانُ يُوجِبُ سلامةَ الفِطْرَةِ، وحُسْنَ
القَصْدِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ، انتَفَعَ بِالآيَاتِ.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَلَا يُسْتَغْرَبُ عَدَمُ قَبُولِهِ لِلْحَقِّ،
وَاتِّبَاعِهِ لَهُ، وَلِهَذَا يَذْكُرُ اللَّهُ - فِي سِيَاقِ تَمْنَعِ الْكَافِرِينَ مِنْ
تَصْدِيقِ الرَّسُولِ ﷺ، وَقَبُولِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ - السَّبَبَ
الَّذِي أَوْجَبَ لَهُمْ ذَلِكَ، وَهُوَ الْكُفْرُ الَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ، يَعْنِي:
لَأَنَّ الْحَقَّ وَاضِحٌ، وَآيَاتُهُ بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ، وَالْكُفْرُ أَعْظَمُ مَانِعٍ
يَمْنَعُ مِنْ اتِّبَاعِهِ، أَيْ: فَلَا تَسْتَغْرِبُوا هَذِهِ الْحَالَةَ؛ فَإِنَّهَا لَمْ تَزَلْ
دَابَّ كُلِّ كَافِرٍ.

١٣ - وَمِنْهَا: أَنَّ الْإِيمَانَ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الشُّكْرِ
فِي حَالَةِ السَّرَّاءِ، وَالصَّبْرِ فِي حَالَةِ الضَّرَّاءِ، وَكَسْبِ الْخَيْرِ فِي
كُلِّ أَوْقَاتِهِ:

كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (عَجَبًا
لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ
خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ

لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ^(١). وَالشُّكْرُ وَالصَّبْرُ هُمَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ،
فَالْمُؤْمِنُ مُغْتَنِمٌ لِلْخَيْرَاتِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِ، رَابِحٌ فِي كُلِّ
حَالَاتِهِ.

وفي «الصحيح» عنه ﷺ: (لَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ
هَمٍّ، وَلَا غَمٍّ وَلَا أَذًى، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا مِنْ
خَطَايَاهُ)^(٢).

فَيَجْتَمِعُ لِلْمُؤْمِنِ عِنْدَ النَّعَمِ وَالسَّرَّاءِ نِعْمَتَانِ: نِعْمَةُ
حُصُولِ ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ، وَنِعْمَةُ التَّوْفِيقِ لِلشُّكْرِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى
مِنْ ذَلِكَ، وَبِذَلِكَ تَتِمُّ عَلَيْهِ النَّعْمَةُ.

وَيَجْتَمِعُ لَهُ عِنْدَ الضَّرَّاءِ ثَلَاثُ نِعَمٍ: نِعْمَةُ تَكْفِيرِ
السَّيِّئَاتِ، وَنِعْمَةُ حُصُولِ مَرْتَبَةِ الصَّبْرِ الَّتِي [هِيَ]^(٣) أَعْلَى مِنْ
ذَلِكَ، وَنِعْمَةُ سُهولةِ الضَّرَّاءِ الَّتِي عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ مَتَى عَرَفَ
حُصُولَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ وَالتَّمَرُّنَ عَلَى الصَّبْرِ هَانَتْ عَلَيْهِ وَطَأَةُ
الْمُصِيبَةِ، وَخَفَّتْ عَلَيْهِ حِمْلُهَا.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩)، من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) عن أبي سعيد الخدري
وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٣) زيادة متعينة؛ إذ لا يصح هنا حذف صدر الصلة.

١٤ - ومنها: أَنَّ الْإِيمَانَ يَقْطَعُ الشُّكُوكَ الَّتِي تَعْرِضُ
لَكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ فَتَضُرُّ بِدِينِهِمْ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ
لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]، أَي: دَفَعَ الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ الَّذِي
مَعَهُم الرَّيْبَ وَالشَّكَّ الْمَوْجُودَ، وَأَزَالَهُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَقَاوَمَ
الشُّكُوكَ الَّتِي تُلْقِيهَا شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَالنُّفُوسُ الْأَمَّارَةُ
بِالسُّوءِ؛ فَلَيْسَ لِهَذِهِ الْعِلَلِ الْمُهِلِكَةِ دَوَاءٌ إِلَّا تَحْقِيقُ الْإِيمَانِ.

ولهذا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ
الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ،
وَلَيْتَنِي، وَلَيْتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ) ^(١).

فَذَكَرَ ﷺ هَذَا الدَّوَاءَ النَّافِعَ لِهَذَا الدَّاءِ الْمُهِلِكِ؛ وَهُوَ
ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: الْإِنْتِهَاءُ عَنْ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ
مِنْ شَرِّ مَنْ أَلْقَاهَا وَشَبَّهَ بِهَا لِيُضِلَّ بِهَا الْعِبَادَ، وَالِاعْتَصَامُ
بِعِصْمَةِ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ الَّذِي مَنِ اعْتَصَمَ بِهِ كَانَ مِنَ
الْآمِنِينَ.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

وذلك لأنَّ الباطلَ يَتَضَيِّحُ بطلانهُ بأُمُورٍ كثيرةٍ، أعظمُها: العلمُ أَنَّهُ مُنافٍ للحَقِّ، وكُلُّ ما ناقَضَ الحَقَّ فهو باطلٌ، ﴿فَمَاذَا بَدَأَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالَةَ﴾ [يونس: ٣٢].

١٥ - ومنها: أَنَّ الإيمانَ مَلَجَأُ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَا يُلِغُ بِهِمْ: مِنْ سُرُورٍ وَحُزْنٍ وَخَوْفٍ وَأَمْنٍ، وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا بُدَّ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهَا:

• فَعِنْدَ الْمَحَابِّ وَالسُّرُورِ يَلَجُّوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ: فَيَحْمَدُونَ اللَّهَ، وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَعْمِلُونَ النُّعَمَ فِيمَا يُحِبُّ الْمُنْعَمُ.

• وَعِنْدَ الْمَكَارِهِ وَالْأَحْزَانِ يَلَجُّوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ مِنْ جِهَاتٍ عَدِيدَةٍ: يَتَسَلَّلُونَ بِإِيمَانِهِمْ وَحَلَاوَتِهِ، وَيَتَسَلَّلُونَ بِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الثَّوَابِ، وَيُقَابِلُونَ الْأَحْزَانَ وَالْقَلَقَ بِرَاحَةِ الْقَلْبِ، وَالرُّجُوعِ إِلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْمُقَاوِمَةِ لِلْأَحْزَانِ وَالْأَتْرَاحِ.

• وَيَلَجُّوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ عِنْدَ الْخَوْفِ فَيَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ، وَيَزِيدُهُمْ إِيْمَانًا وَثَبَاتًا، وَقُوَّةً وَشَجَاعَةً، وَيَضْمَحِلُّ الْخَوْفُ

الَّذِي أَصَابَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ خِيَارِ الْخَلْقِ: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴿[آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤]، لَقَدْ اضمَحَلَّ الْخَوْفُ مِنْ قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْأَخْيَارِ، وَخَلَفَهُ قُوَّةُ الْإِيمَانِ وَحِلَاوَتُهُ، وَقُوَّةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَالثِّقَةُ بِوَعْدِهِ.

• وَيَلْجَأُونَ إِلَى الْإِيمَانِ عِنْدَ الْأَمْنِ فَلَا يُبْطِرُهُمْ، وَلَا يُحَدِّثُ لَهُمُ الْكِبْرِيَاءَ، بَلْ يَتَوَاضِعُونَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ فَضْلِهِ وَتَيْسِيرِهِ؛ فَيَشْكُرُونَ الَّذِي أَنْعَمَ بِالسَّبَبِ وَالْمُسَبَّبِ؛ الْأَمْنِ وَأَسْبَابِهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِذَا حَصَلَ لَهُمْ ظَفَرٌ بِالْأَعْدَاءِ وَعِزٌّ أَنَّهُ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَفَضْلِهِ، لَا بِحَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ.

• وَيَلْجَأُونَ إِلَى الْإِيمَانِ عِنْدَ الطَّاعَةِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَيَعْتَرِفُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِهَا، وَأَنَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا أَعْظَمُ مِنْ نِعَمِ الْعَافِيَةِ وَالرِّزْقِ، وَكَذَلِكَ يَحْرِصُونَ عَلَى تَكْمِيلِهَا، وَعَمَلِ كُلِّ سَبَبٍ لِقَبُولِهَا وَعَدَمِ رَدِّهَا أَوْ نَقْصِهَا، وَيَسْأَلُونَ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالتَّوْفِيقِ لَهَا، أَنْ يُتِمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ بِقَبُولِهَا، وَالَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِحُصُولِ أَصْلِهَا، أَنْ يُتِمَّ لَهُمْ مِنْهَا مَا انْتَقَصُوهُ مِنْهَا.

• وَيَلَجُّونَ إِلَى الْإِيمَانِ إِذَا ابْتُلُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي
بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْهَا، وَعَمَلٍ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ مِنَ
الْحَسَنَاتِ لَجَبٍ نَقَصِهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وَقَالَ ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْفَرَسِ الْمَرْبُوطِ فِي
أَخِيَّتِهِ^(١): يَجُولُ مَا يَجُولُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَخِيَّتِهِ^(٢)) كَذَلِكَ
الْمُؤْمِنُ: يَجُولُ مَا يَجُولُ فِي الْغَفْلَةِ وَالتَّجَرُّؤِ عَلَى بَعْضِ
الْآثَامِ، ثُمَّ يَعُودُ سَرِيعًا إِلَى الْإِيمَانِ الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ أُمُورَهُ
كُلَّهَا.

فَالْمُؤْمِنُونَ فِي جَمِيعِ تَقَلُّبَاتِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ مَلَجَوْهُمْ إِلَى
الْإِيمَانِ، وَمَفَرَعُوهُمْ إِلَى تَحْقِيقِهِ، وَدَفَعَ مَا يُنَافِيهِ وَيُضَادُّهُ،
وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَمَنَّهُ.

(١) الْأَخِيَّةُ: حَبِيلٌ أَوْ عَوِيدٌ يُضْرَبُ فِي الْحَائِطِ وَيُدْفَنُ طَرَفَاهُ فِيهِ، وَيَصِيرُ
وَسْطُهُ كَالْعُرْوَةِ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ (٧٣)، وَمِنْ طَرِيقِهِ أَحْمَدُ (١١٥٢٦)،
وَأَبُو يَعْلَى (١١٠٦، ١٣٣٢)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ
ابْنُ حِبَانَ (٦١٦)، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ (٦٦٣٧).

١٦ - ومنها: أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ يَمْنَعُ الْعَبْدَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمُوبِقَاتِ الْمُهْلِكَةِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ...) الْحَدِيثُ^(١). فَأَخْبَرَ أَنَّ الْإِيمَانَ إِذَا صَحِبَهُ عِنْدَ وُجُودِ أَسْبَابِ هَذِهِ الْفَوَاحِشِ، فَإِنَّ نُورَ إِيْمَانِهِ يَمْنَعُهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا؛ فَإِنَّ الثُّورَ الَّذِي يَصْحَبُ الْإِيمَانَ الصَّادِقَ وَوُجُودَ حِلَاوَةِ الْإِيمَانِ، وَالْحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ - الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ شُعَبِ الْإِيمَانِ بَلَا شَكٍّ^(٢) - يَمْنَعُ مِنْ مُوَاقَعَةِ هَذِهِ الْفَوَاحِشِ. وَمَنْ وَقَعَتْ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَضَعْفِ إِيْمَانِهِ، وَذَهَابِ نُورِهِ، وَزَوَالِ الْحَيَاءِ مِمَّنْ يَرَاهُ حَيْثُ نَهَاهُ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ مُشَاهَدٌ.

❏ وَالْإِيمَانُ الصَّادِقُ الصَّحِيحُ يَصْحَبُهُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحُبُّ لَهُ، وَالرَّجَاءُ الْقَوِيُّ لثَوَابِهِ، وَالْخَوْفُ مِنْ عِقَابِهِ، وَالنُّورُ الَّذِي يُنَافِي الظُّلْمَةَ. وَهَذِهِ الْأُمُورُ - الَّتِي هِيَ مِنْ مُكَمَّلَاتِ الْإِيمَانِ - لَا رَيْبَ أَنَّهَا تَأْمُرُ صَاحِبَهَا بِكُلِّ خَيْرٍ، وَتَرْجُرُهُ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٣٤٣)، وَمُسْلِمٌ (٥٧)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) يَنْظُرُ: بِهَجَةِ قُلُوبِ الْأَبْرَارِ لِلْمُؤَلَّفِ (ص ٢٢٧).

١٧ - ومنها: أنه ثبت عنه ﷺ في «الصَّحِيحِينَ» من حديث أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْأُتْرُجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا)^(١).

وهؤلاء القسمان هم خيرُ الخليقة؛ فإنَّ النَّاسَ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

■ خَيْرٌ فِي نَفْسِهِ، مُتَعَدِّ خَيْرُهُ إِلَى غَيْرِهِ، وهو خَيْرُ الأقسام، فهذا المؤمنُ الَّذِي قرأ القرآن، وتعلَّم علوم الدين؛ فهو نافعٌ لِنَفْسِهِ، مُتَعَدِّ نَفْعُهُ إِلَى غَيْرِهِ، مُبَارَكٌ أَيْنَمَا كَانَ، كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١].

■ وَطَيِّبٌ فِي نَفْسِهِ، صَاحِبُ خَيْرٍ، وهو المؤمنُ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَعُودُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ.

فهذان القسمان هم خَيَارُ الْخَلِيقَةِ، وَالْخَيْرُ الَّذِي فِيهِمْ عَائِدٌ إِلَى مَا مَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ الْقَاصِرِ وَالْمُتَعَدِّي نَفْعُهُ إِلَى الْغَيْرِ بِحَسَبِ أَحْوَالِ الْمُؤْمِنِينَ.

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٢)، ومسلم (٧٩٧).

■ وَمَنْ هُوَ عَادِمٌ لِلْخَيْرِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَعَدَّى ضَرَرُهُ عَلَى غَيْرِهِ.

■ وَمَنْ هُوَ صَاحِبُ شَرٍّ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلَى غَيْرِهِ، فَهَذَا شَرُّ الْأَقْسَامِ، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

فَعَادَ الْخَيْرُ كُلُّهُ إِلَى الْإِيمَانِ وَتَوَابِعِهِ، وَعَادَ الشَّرُّ إِلَى فَقْدِ الْإِيمَانِ، وَالْإِتِّصَافِ بِضِدِّهِ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

وَشَبَّهَ بِهَذَا الْمَعْنَى، قَوْلُهُ ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ)^(١).

فَقَسَمَ ﷺ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ قَوِيٌّ فِي عَمَلِهِ وَقُوَّةِ إِيْمَانِهِ وَفِي نَفْعِهِ لِغَيْرِهِ، وَقِسْمٌ ضَعِيفٌ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَفِي كُلِّ مِنَ الْقِسْمَيْنِ خَيْرٌ^(٢)؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ وَآثَارَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَإِنْ تَفَاوَتَ الْمُؤْمِنُونَ فِي هَذَا الْخَيْرِ.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: بهجة قلوب الأبرار للمؤلف (ص ٤٩).

وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُهُ ﷺ: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)^(١)، ومفهوم هذه النصوص الصحيحة المُحْكَمَةِ أَنَّ فَاقِدَ الْإِيمَانِ لَا خَيْرَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا عُدِمَ الْإِيمَانُ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ أَحْوَالُهُ كُلُّهَا شَرٌّ وَضَرَرٌ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى الْمَجْتَمَعِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ بَعْضُ الْخَيْرِ الَّذِي قَدْ انْغَمَرَ بِالشَّرِّ، وَغَلَبَ شَرُّهُ خَيْرُهُ، وَالْمَصَالِحُ إِذَا انْغَمَرَتْ وَاضْمَحَلَّتْ فِي الْمَفَاسِدِ صَارَتْ شَرًّا؛ لِأَنَّ الْخَيْرَ الَّذِي مَعَهُ يُقَابِلُهُ شَرٌّ نَظِيرُهُ؛ فَيَتَسَاقَطَانِ، وَيَبْقَى الشَّرُّ - الَّذِي لَا مُقَابِلَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ - يَعْمَلُ عَمَلَهُ. وَمَنْ تَأَمَّلَ الْوَاقِعَ فِي الْخَلْقِ رَأَى الْأَمْرَ كَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَتَبَيَّنَ مِمَّا تَقَدَّمَ: أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الْمُبَارَكَةَ - شَجَرَةَ الْإِيمَانِ - أَبْرَكَ^(٢) الْأَشْجَارِ وَأَنْفَعُهَا وَأَدْوَمُهَا.

(١) أخرجه أحمد (٤٣/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٨)، وابن ماجه (٤٠٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٥١٢/١٠)، وهو في السلسلة الصحيحة (٩٣٩).

(٢) الجادة عند النحاة أَنَّ أَفْعَلَ التفضيل لا يُصاغ إلا من الفعل الثلاثي، فيقال هنا: (أكثرُ الأشجارِ بركةً). ولكن جاء في الجمهرة لابن دريد (٢٧٣/١): «ذكر أبو زيد (أي الأنصاري) أنه سمع أعراب قيس يقولون: =

وَأَنَّ عُرُوقَهَا وَأَصُولَهَا وَقَوَاعِدَهَا: الْإِيمَانُ وَعُلُومُهُ
وَمَعَارِفُهُ. وَسَاقُهَا وَأَفْنَانُهَا: شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ، وَالْأَعْمَالُ
الصَّالِحَةُ، وَالْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَةُ، الْمُؤَيَّدَةُ وَالْمَقْرُونَةُ
بِالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَالْمَتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَنَّ ثِمَارَهَا وَجَنَاهَا الدَّائِمُ الْمُسْتَمِرُّ: السَّمْتُ الْحَسَنُ،
وَالْهَدْيُ الصَّالِحُ، وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ، وَاللَّهْجُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ،
وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ، وَالنَّفْعُ لِعِبَادِ اللَّهِ بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ: نَفْعُ الْعِلْمِ
وَالنُّصْحِ، وَنَفْعُ الْجَاهِ وَالْبَدَنِ، وَنَفْعُ الْمَالِ، وَجَمِيعُ طُرُقِ
النَّفْعِ. وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ كُلُّهُ: الْقِيَامُ بِحُقُوقِ اللَّهِ، وَحُقُوقِ خَلْقِهِ.

وَأَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ - فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ - مُتَفَاوِتَةٌ تَفَاوُتًا
عَظِيمًا، بِحَسَبِ مَا قَامَ بِهِمْ، وَاتَّصَفُوا بِهِ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ.
وَأَنَّ مَنَازِلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ تَابِعَةٌ لِهَذَا كُلِّهِ.

وَأَنَّ الْفَضْلَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالْمِنَّةُ كُلُّهَا: ﴿بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْدَمَا دَخَلُوهَا، وَتَبَوَّأُوا مَنَازِلَهُمْ،

= ما أبرك هذا الطعام». وهذا وإن كان تعجبًا إلا أنَّ العرب سَوَتْ بَيْنَ
أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ وَفَعَلِ التَّعَجُّبِ فِيمَا يَصَاحُغَانِ مِنْهُ؛ لَمَّا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّنَاسُبِ.

مُعْتَرِفِينَ بِفَضْلِ رَبِّهِمُ الْعَظِيمِ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

فَجَمَعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيْنَ الْإِخْبَارِ بِاعْتِرَافِهِمْ وَثَنَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ بِنِعَمِهِ وَفَضْلِهِ، حَيْثُ وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ، وَبَيَّنَ ذِكْرَ السَّبَبِ الَّذِي أَوْصَلَهُمْ إِلَى ذَلِكَ بِمِنَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ وَأَعْمَالُهُ.

* فَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ الصَّادِقِ، وَأَلَّا يَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَلَّا يُزِيعَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً؛ إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا.

قَالَ ذَلِكَ وَكَتَبَهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَاصِرٍ السَّعْدِيُّ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَلِوَالِدَيْهِ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَرُقِمَ فِي ٨ ذِي الْحِجَّةِ، سَنَةِ ١٣٧٤هـ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



الفَهَارِسُ



١ - فهرس الآيات

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٥	٧٩
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ...﴾	٢٥	٧٧
﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّنَا...﴾	١٣٦	١٨
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَادَهُ﴾	١٤٣	٥٧ ، ٣٥
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾	١٧٢	٥٤
﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٢٣	٧٦
﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	٢٥٧	٦٦
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتِ...﴾	٢٦٠	٤١
﴿كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْثَلَهَا﴾		
﴿ضَعُفَتِ...﴾	٢٦٥	٦٢
﴿يَا أَيُّدُ أَهْلِكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّعِيمٍ﴾		
﴿وَأَعْنَابٍ...﴾	٢٦٦	٦٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٢٧٧	٢٣
﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾	٢٨٥	١٨
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	٢٨٦	٣٦

سورة آل عمران

٤٧	٧	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ...﴾
٤٧	١٨	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ...﴾
٣٠	٣١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾
١٩	٥٣	﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾
٢٩	١٦٤	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ...﴾
٨٤ ، ٣٨	١٧٣	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ...﴾
٨٤	١٧٤	﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ رِزْقًا فَجَاءُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ أَقْبَلًا﴾
٥٠ ، ٤٦	١٩٣	﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ...﴾

سورة النساء

٢٨	٦٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾
٤٦	٨٢	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِيقَ الَّذِي كَفَرَ وَكَانَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ أَنْ يَوْجُدُوا فِيهِ أَخِيَانًا كَثِيرًا﴾
٧٢	١٠٤	﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ...﴾
٤٧	١٦٢	﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ...﴾

سورة المائدة

٤١	١١٣	﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا...﴾
----	-----	---

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الأنعام		
﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٤٨	٧٧
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٧٥	٤١
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ		
الْأَتَمُّ...﴾	٨٢	٧٧
﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	٨٨	٧١
﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾	١٣٢	٢٥
سورة الأعراف		
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا...﴾	٤٣	٩١
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ		
تَذَكَّرُوا...﴾	٢٠١	٨٥ ، ٦٣
﴿يَمُدُّوهُمْ فِي الْفِتَنِ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾	٢٠٢	٦٤
سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾	٢	١٩
﴿وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا...﴾	٢	٤٥
﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا...﴾	٤	٢٠
﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾	٤٢	٧٤
سورة التوبة		
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾	٧١	٦٧
﴿وَنَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١١٢	٧٦

طرف الآية رقم الآية الصفحة

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾

إِيمَانًا...﴿

٣٨ ١٢٤

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾

٣٠ ١٢٨

سورة يونس

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ

بِإِيمَانِهِمْ﴾

٧٢ ، ٣٤ ٩

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

٢٣ ٩

﴿فَمَآذًا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾

٨٣ ٣٢

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾

٤٨ ٣٩

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ لَّآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

٦٦ ، ٢٣ ٦٢

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

٦٦ ، ٢٣ ٦٣

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

٧٧ ٦٤

﴿وَنُفِثَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

٧٦ ٨٧

سورة هود

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

٢٣ ٢٣

سورة يوسف

﴿إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾

٧٣ ١٣

سورة إبراهيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ

١٢ ٢٤

طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

١٢ ٢٥

﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الحجر		
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٧٧	٧٩
سورة النحل		
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا...﴾	٨٨	٨٨
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...﴾	٩٧	٦٩
﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٩٩	٦١
سورة الإسراء		
﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ...﴾	١٩	٧٠
سورة الكهف		
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٣٠	٢٣
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا...﴾	١٠٣	٧١
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	١٠٧	٢٣
سورة مريم		
﴿وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾	٣١	٨٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾	٩٦	٧٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٩٦	٢٣
سورة الأنبياء		
﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	٨٧	٦٨

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَيَّنَّا مِنْ أَلَمِهِ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٨	٦٨
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ﴾	٩٤	٧٠
سورة الحج		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾	٣٨	٦٨
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...﴾	١	٥٦، ٢١
﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾	٢	٢١
﴿أُولَئِكَ هُمُ الزَّوْجُونَ﴾	١٠	٥٦
﴿أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ﴾	٦٨	٤٨
﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾	٦٩	٤٩
سورة الفرقان		
﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	٢٣	٧١
سورة العنكبوت		
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٤	٧٩
﴿وَأَنِصِرِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾	٤٥	٥٧
سورة الروم		
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ...﴾	٥٦	٤٧

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة لقمان		
﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٥	٧٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٨	٢٣
سورة السجدة		
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُوكَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا...﴾	٢٤	٧٦
سورة الأحزاب		
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٥٠
﴿وَنَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٧٦
سورة سبأ		
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَتَىٰ وَفُرَدَىٰ...﴾	٤٦	٤٩
سورة فاطر		
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾	٣٢	٢٢
سورة ص		
﴿كَتَبَ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ...﴾	٢٩	٤٨
سورة الزمر		
﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَجْطَنَ عَلَيْكَ﴾	٦٥	٧١
سورة فصلت		
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	٨	٢٣

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ...﴾	٣٠	٣١
﴿تَنَزِّلُ مِنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	٤٢	٤٦
سورة الأحقاف		
﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾	١٩	٢٥
سورة الفتح		
﴿لِيَزَادُوا إيمَانًا مَعَ إيمَانِهِمْ﴾	٤	٣٨
سورة الحجرات		
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾	٧	٥٥ ، ٢٣
﴿فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ بِنِعْمَةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	٨	٢٣
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾	١٥	٨٢
﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ...﴾	١٧	٩٠
سورة الذاريات		
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٥	٧٩
سورة الحديد		
﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوِجْهِهِمْ...﴾	١٢	٧٨
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾	١٩	١٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ...﴾	٢٨	٧٨

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة المجادلة		
﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾	١١	٧٦
سورة الحشر		
﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾	٧	٥٠
سورة الصف		
﴿وَلْيَخِرَّ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٣	٧٦
سورة التغابن		
﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾	١١	٧٢ ، ٣٤
سورة الطلاق		
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾	٢	٦٩
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾	٤	٦٩
سورة القلم		
﴿بِئْسَ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	٤٩
سورة المدثر		
﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾	٣١	٣٨
سورة النازعات		
﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾	٤٠	٥٨
سورة البروج		
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	١١	٢٣

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
سورة الليل		
٣٣	٥	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾
٣٣	٦	﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾
٣٣	٧	﴿فَسَيَكُونُ لِلْيُسْرَى﴾
سورة البينة		
٢٣	٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

٢ - فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
٣١	- أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟!
٣٦	- إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ، فَحَكَمَ، فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ...
٥٥	- اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ
١٧	- إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعَرْفِ فِي الْجَنَّةِ
٣٥	- إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى مِنْثَقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ
٢٧	- أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ...
٤٤	- إِنَّ اللَّهَ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مِثَّةً إِلَّا وَاحِدًا...
٢٥	- الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً...
٧٤	- تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ
٢٤	- ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ...
٦٨	- دَعَا أَخِي يُوسُفَ، مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوبٌ...
٥٦	- الدِّينُ النَّصِيحَةُ
٢٩	- ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا...
٥٧	- الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ
٨٠	- عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ...
٣٦	- قَدْ فَعَلْتُ
٣٠	- قُلْ (آمَنْتُ بِاللَّهِ)، ثُمَّ اسْتَقِمْ
٥٨	- لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ
٥٦، ٢٨	- لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ
٢٧	- لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ...
٨٢	- لَا يَزَالُ النَّاسُ بِتَسَاءُلُونَ هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ...

- ٨٦ - لَا يَزْنِي الزَّانِي - حِينَ يَزْنِي - وَهُوَ مُؤْمِنٌ ...
- ٨١ - لَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ هَمٍّ، وَلَا غَمٍّ وَلَا أَدَى ...
- ٨٩ - الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَضِيرُ عَلَى أَذَاهُمْ ...
- ٨٨ - الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ
- ٣٣ - الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
- ٨٧ - مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْأُتْرَجَةِ ...
- ٨٥ - مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ كَالْفَرَسِ الْمَرْبُوطِ فِي آخِئَتِهِ ...
- ٣٢ - مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ ...
- ٣٧ - مَنْ مَرِضَ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ ...

٣ - فهرس الآثار

<u>الصفحة</u>	<u>الأثر</u>
٣٤	❖ الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري - لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالْتَّمَنِّيِّ وَالتَّحَلِّيِّ ...
٥٨	❖ الصحابة - اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً

٤ - فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
- أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن النسائي	٣٣
- أم موسى ؑ	٧٤
- أنس بن مالك بن النضر، الأنصاري الخزرجي	٢٨ ، ٢٧ ، ٢٤
- جبريل ؑ	٢٧
- الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري	٣٤
- سفيان بن عبد الله الثقفى	٣٠
- صدي بن عجلان بن وهب بن عمرو بن عامر، أبو أمانة الباهلي	٣٢
- العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو عبد الله الهاشمي	٢٨
- عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أبو هريرة	٨٢ ، ٣٣ ، ٢٥
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي	٧٤ ، ٣١
- عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري	٨٧ ، ٣٧
- عيسى بن مريم ؑ	٤١
- محمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى الترمذي	٣٣
- موسى ؑ	٧٤
- هرقل عظيم الروم	٥١
- يعقوب ؑ	٧٣
- يوسف ؑ	٧٣
- يونس ؑ	٦٨

٥ - فهرس الفرق والطوائف والجماعات

- الحواريون ٤١
- وفد عبد القيس ٣١

٦ - فهرس الأماكن والبلدان والأيام والغزوات

- بيت المقدس ٣٥

٧ - فهرس الكتب والمصادر

- سنن أبي داود ٣٢
- الصحيحان ١٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧
- صحيح مسلم ٣٦ ، ٣٠ ، ٢٨

٨ - فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
١ - فهرس المصطلحات العقدية:	
- الإيمان	٣٨ ، ٢٧ ، ١٥
- البُغْضُ في الله	٣٣
- الحُبُّ في الله	٣٣
- القضاء	٢٧
٢ - فهرس مصطلحات الآداب والسلوك:	
- السَّعْيُ لِلْآخِرَةِ	٧٠
- اللغو	٥٨

٩ - فهرس القواعد والكلديات

الصفحة	القاعدة
	١ - فهرس قواعد المعرفة ومدارك النظر:
١٥	- حدودُ الأشياءِ تَتَقَدَّمُ أَحْكَامُهَا
١٥	- الْحُكْمُ عَلَى الْأَشْيَاءِ قَرَعَ عَنْ تَصَوُّرِهَا
٤١	- خِيَارُ الْخَلْقِ يَطْلُبُونَ التَّرَقِّيَ فِي تَحْصِيلِ دَرَجَاتِ الْيَقِينِ
١١	- كِتَابُ اللَّهِ كَفِيلٌ بِتَحْقِيقِ أَصُولِ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ
	٢ - فهرس قواعد العقائد:
	١ - فهرس القواعد العقدية الكبرى:
١٦	- أَصُولُ الْعَقَائِدِ مَا رَتَّبَ اللَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ دُخُولَ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ
٣٤	- الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ، وَالْبَاطِنَةُ تُصَدِّقُ الْإِيمَانَ
٤٣	- الْإِيمَانُ أَعْظَمُ الْمَطَالِبِ وَأَهْمُهَا وَأَعَمُّهَا
٤٦	- الْعِلْمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَزِيدُ الْإِيمَانَ وَالْيَقِينَ
١١	- كِتَابُ اللَّهِ كَفِيلٌ بِتَحْقِيقِ أَصُولِ الْحَقِّ وَالْيَقِينِ
١١	- مَبَاحِثُ الْإِيمَانِ أَهْمُ مَبَاحِثِ الدِّينِ
	٢ - فهرس قواعد الإلهيات:
١٦	- الْإِعْتِرَافُ بِانْفِرَادِ اللَّهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ
٥٨	- الْإِعْرَاضُ عَنِ اللَّغْوِ يُتِمِّي الْإِيمَانَ وَيَزِيدُهُ
٤٤	- أَعْظَمُ مَا يَقْوِي الْإِيمَانَ مَعْرِفَةُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَالتَّعَبُّدُ بِهَا
٨٨	- الْإِيمَانُ وَأَثَارُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ
٤٥	- تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُقْوِي الْإِيمَانَ

الصفحة

القاعدة

- ٥٨ - رعاية الأمانات والعهود وحفظها من علامات الإيمان
- ٥٧ - الزكاة تنمي الإيمان وتزيده
- ٥٨ - العفة عن الفواحش تنمي الإيمان وتزيده
- ٣٩ - المعارضات والشبهات والشهوات تُضعف الإيمان
- ٤٦ - معرفة أحاديث النبي ﷺ من أعظم ما يقوي الإيمان
- ٤٤ - معرفة الأسماء والصفات تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة
- ٤٥ - معرفة الأسماء والصفات مصدرها الكتاب والسنة
- ٤٥ - معرفة الأسماء والصفات يجب أن تخلص من داء التعطيل والتمثيل
- ٥٤ - من أسباب الإيمان الإكثار من ذكر الله
- ٥٣ - من أسباب الإيمان التفكير في نعم الله وآلائه
- ٥٤ - من أسباب الإيمان معرفة محاسن الدين
- ٥٢ - من أسباب الإيمان ودواعيه التفكير في الكون
- ٦٠ - من دواعي الإيمان التواصي بالحق والصبر
- ٦٠ - من دواعي الإيمان الدعوة إلى الله
- ٥٥ - من مقويات الإيمان التحقق بمقام الإحسان
- ٦١ - من مقويات الإيمان توطئ النفس على مقاومات ما يُنافيه
- ٥٧ - من مقويات الإيمان حضور القلب في الصلاة
- ٤٩ - من موجبات الإيمان معرفة أحوال النبي ﷺ
- ٣ - فهرس قواعد النبوات:
- ١٦ - الإيمان بجميع الرسل من أصول الإيمان
- ٤ - فهرس قواعد السمعيات:
- ١٦ - الإيمان بالغيب من أصول الإيمان
- ٣ - فهرس القواعد المقاصدية:
- ٨٩ - المصالح إذا انعمت واطمحت في المفاسد، صارت شرًا
- ٤ - فهرس القواعد الأصولية:
- ١١ - السنة توافق الكتاب وتفسره

٥ - فهرس قواعد الآداب والسلوك:

- ٥٦ - الإحسانُ إلى الخَلْقِ مِنَ الإيمانِ
- ٣٠ - أَشْرَفُ مَقَامٍ لِلْعَبْدِ انْتِسَابُهُ لِعُبُودِيَّةِ اللَّهِ
- ٧٠ - أَصْلُ الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ رَاحَةُ الْقَلْبِ وَطُمَأْنِينُهُ
- ٨٦ - الْإِيمَانُ الصَّادِقُ الصَّحِيحُ، يَصْحَبُهُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ
- ٣٣ - الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى رِعَايَةِ الْأَمَانَةِ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الْخِيَانَةِ
- ٦٩ - الْإِيمَانُ يُثْمِرُ طُمَأْنِينَةَ الْقَلْبِ وَرَاحَتَهُ
- ٧٩ - الْإِيمَانُ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى التَّزَامِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ
- ٧١ - التَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا
- ٢٥ - حِلَاوَةُ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ تُسَلِّي عَنِ مَحَبُوبَاتِ الدُّنْيَا
- ٣٦ - مَنْ نَوَى عَمَلًا صَالِحًا، وَمَنَعَهُ مَانِعٌ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَاهُ
- ٣٩ - النَّاسُ يَتَفَاوَتُونَ فِي أَخْلَاقِ الْإِيمَانِ
- ٨١ - يَجْتَمِعُ لِلْمُؤْمِنِ عِنْدَ الضَّرَاءِ ثَلَاثُ نِعَمٍ
- ٨١ - يَجْتَمِعُ لِلْمُؤْمِنِ عِنْدَ النُّعَمِ وَالسَّرَاءِ، نِعْمَتَانِ

١٠ - فهرس مذاهب السلف العقديّة

الصفحة	مذهب السلف
١٥	- الإيمانُ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ
١٥	- الإيمانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ
١٥ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣٨ ، ٨٣	- الإيمانُ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ

١١ - فهرس التفسير وأسباب النزول

الآية	الصفحة
سورة البقرة	
[١٣٦] ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِذْ رَدَدْتُمْ﴾	١٨
[١٤٣] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	٣٥
[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾	٦٦
[٢٨٥] ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	١٩
سورة آل عمران	
[٧] ﴿هُوَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾	٤٧
[١٧٤] ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾	٨٤
[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾	٥٠
سورة النساء	
[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	٢٨
سورة المائدة	
[١١٣] ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنهَا وَتَطْعَمَ قُلُوبُنَا﴾	٤١
سورة الأنعام	
[٤٨] ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٧٧

سورة الأعراف

- ٩١ [٤٣] ﴿وَقَالُوا لَحْمُدُ اللَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾
 ٦٣ [٢٠١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾
 ٦٤ [٢٠٢] ﴿يَمْدُدُونَهُمْ فِي النَّارِ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾

سورة الأنفال

- ٢٠ [٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾
 ٢٠ [٤] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾

سورة يونس

- ٣٤ [٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾
 ٤٨ [٣٩] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾
 ٦٦ ، ٢٣ [٦٣] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾
 ٧٧ [٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

سورة يوسف

- ٧٣ [١٣] ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ﴾

سورة إبراهيم

- ١٢ [٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

سورة النحل

- ٦١ [٩٩] ﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾

سورة مريم

- ٧٥ [٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾

سورة الأنبياء

- [٩٤] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧٠

سورة الحج

- [٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْعُ الْبَنِيَّانِ إِلَى الْمَسْجِدِ﴾ ٦٨

سورة المؤمنون

- [١] ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٥٧ ، ٢١
[٦٨] ﴿أَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ﴾ ٤٨

سورة السجدة

- [٢٤] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ﴾ ٧٦

سورة فاطر

- [٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ٢٢

سورة الحجرات

- [٧] ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ٥٥
[٧] ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ٢٤
[١٥] ﴿وَلَمَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ ٨٢

سورة الحديد

- [٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ ٧٨

سورة المجادلة

- [١١] ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ ٧٦

سورة التغابن

- [١١] ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ ٧٢

سورة الطلاق

[٢] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ٦٩

سورة النازعات

[٤٠] ﴿وَنَفَى الْأَنْفَسَ عَنِ أُمُوتٍ﴾ ٥٨

سورة الليل

[٥] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ٣٣

سورة العصر

[٢] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ٦٠

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ٦٠

١٢ - فهرس شرح الحديث والأثر

الصفحة	الحديث أو الأثر المشروح
٣٢	- أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟!
٣٥	- إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ
٤٤	- إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مِئَةً إِلَّا وَاحِدًا...
٢٦	- الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً...
٧٤	- تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ
٢٤	- ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ...
٢٩	- ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا...
٥٧	- الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ
٣٠	- قُلْ (آمَنْتُ بِاللَّهِ)، ثُمَّ اسْتَقِمَّ
٢٧	- لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ وَالِدِهِ...
٢٨	- لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ
٨٢	- لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ...
٨١	- لَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ هَمٍّ، وَلَا غَمٍّ وَلَا أَدَى...
٨٨	- الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ
٣٣	- الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
٣٢	- مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ...
٣٧	- مَنْ مَرِضَ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ...

١٣ - معجم المسائل والموضوعات

المسألة والموضوع	الصفحة
١ - معجم المسائل العقديّة:	
- الاعترافُ بانفرادِ الله بالوحدانيّة والألوهيّة من أصولِ الإيمانِ	١٦
- الإقرارُ بالأسماء والصفات من أصولِ الإيمانِ	١٦
- الإقرارُ بحقِّ التَّأَلُّو والتَّعَبُّدِ لله من أصولِ الإيمانِ	١٦
- الأمورُ التي يُسْتَمَدُّ منها الإيمانُ	٤٣
- الإيمانُ بجميعِ الرُّسُلِ من أصولِ الإيمانِ	١٦
- الإيمانُ بالغَيْبِ من أصولِ الإيمانِ	١٦
- دَرَجاتُ النَّاسِ في الإيمانِ	٢٢
- الدَّلِيلُ على أَنَّ الإيمانَ يَشْمَلُ الاعتقادَ والقَوْلَ والعملَ	١٧
- الرَّدَّةُ تُحِطُّ العملُ الصَّالِحُ	٧١
- فوائدُ الإيمانِ وثمراتُه	٦٥
- كَانَ خِيَارُ الْأُمَّةِ يَتَّعَاهِدُونَ إيمانَهُمْ	٤٠
- مَرَاتِبُ النَّاسِ في الإيمانِ	٤٠ ، ٢٢
٢ - معجم المسائل الأصولية:	
- مباحثُ الإيمانِ أهمُّ مباحثِ الدِّينِ	١١

١٤ - فهرس الفوائد

الصفحة	الفائدة
٤٣	- جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ مَطْلُوبٍ سَبِيًّا يُوصِلُ إِلَيْهِ
٢٥	- مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا، أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ، وَاجْتَهَدَ فِي مُتَابَعَتِهِ
٨٧	- النَّاسُ - فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ - أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ

١٥ - فهرس الحكم وجوامع الكلم

الصفحة	الحكمة وجوامع الكلم
٧٠	- الأعمال والأقوال إنما تصح بحسب إيمان صاحِبها بها وإخلاصه لها
٦١	- الإيمان والتوكل بهما يحصل النصر على الأعداء
٦٠	- الإيمان والعمل الصالح بهما تكمل النفس
٦١ ، ٥٦	- الجزاء من جنس العمل
٨٠	- الحق واضح، وآياته بيّنة واضحة
٥٦	- الدين النصيحة
٨٩	- شجرة الإيمان أبرك الأشجار وأنفعها وأدومها
٦٠	- شجرة الإيمان محتاجة إلى إزالة ما يضرها
٦٠	- شجرة الإيمان محتاجة إلى تعاهدها بالسقي
٨١	- الشكر والصبر هما جماع كل خير
٦٠	- صاحب الدعوة لا بد أن يسعى في نصر دعوته
٨٨	- عاد الخير كله إلى الإيمان وتوابعه
٨٨	- عاد الشر إلى فقد الإيمان، والاتصاف بخصاله
٥٩	- علامة إيمان العبد ودينه رعاية الأمانة
٨٣	- كل ما ناقض الحق، فهو باطل
٨١	- المؤمن رابح في كل حالاته
٨١	- المؤمن مغتنم للخيرات في كل أوقاته
٥٩	- المحافظة على الصلوات ماء يجري على بستان الإيمان، فيسقيه
٨٩	- المصالح إذا انغمرت وضمحلّت في المفاسد، صارت شراً
٦١	- من تصدّى لشيء، فتح عليه بمقدار صدقه وإخلاصه

الحكمة وجوامع الكلم

الصفحة

٥٦

- مَنْ وَفَّقَ لِلإِحْسَانِ فِي الْعِبَادَةِ وَالْمُعَامَلَةِ، تَحَقَّقَ نُصْحُهُ

٥٩

- يَنْقُصُ مِنْ دِينِ الْعَبْدِ وَإِيمَانِهِ بِمِقْدَارِ مَا نَقَصَ مِنْ أَمَانَتِهِ

فَهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الموضوع	الصفحة
* مقدمة المعتمي	٥
* مقدمة المؤلف	١١
الفصل الأول: في حد الإيمان وتفسيره، وزيادته ونقصه	١٥
الفصل الثاني: في ذكر الأمور التي يستمد منها الإيمان، وبيانها بالإجمال	
والتفصيل	٤٣
الفصل الثالث: في فوائد الإيمان وثمراته، وهو آخر فصول الرسالة	٦٥
الخاتمة	٩٠
* فهرس كتاب التوضيح والبيان لشجرة الإيمان	٩٥
١ - فهرس الآيات	٩٧
٢ - فهرس الأحاديث	١٠٦
٣ - فهرس الآثار	١٠٨
٤ - فهرس الأعلام	١٠٩
٥ - فهرس الفرق والطوائف والقبائل والجماعات	١١٠
٦ - فهرس الأماكن والبلدان والأيام والغزوات	١١٠
٧ - فهرس الكتب والمصادر	١١٠
٨ - فهرس المصطلحات:	١١١
١ - فهرس المصطلحات العقدية	١١١
٢ - فهرس مصطلحات الآداب والسلوك	١١١
٩ - فهرس القواعد والكليات:	١١٢

الصفحة

الموضوع

- ١ - فهرس قواعد المعرفة ومدارك النظر ١١٢
- ٢ - فهرس قواعد العقائد: ١١٢
- ١ - فهرس القواعد العقدية الكبرى ١١٢
- ٢ - فهرس قواعد الإلهيات ١١٢
- ٣ - فهرس قواعد النبوات ١١٣
- ٤ - فهرس قواعد السمعيات ١١٣
- ٣ - فهرس القواعد المقاصدية ١١٣
- ٤ - فهرس القواعد الأصولية ١١٣
- ٥ - فهرس قواعد الآداب والسلوك ١١٤
- ١٠ - فهرس مذاهب السلف العقدية ١١٥
- ١١ - فهرس التفسير وأسباب النزول ١١٦
- ١٢ - فهرس شرح الحديث والأثر ١٢٠
- ١٣ - معجم المسائل والموضوعات: ١٢١
- ١ - معجم المسائل العقدية ١٢١
- ٢ - معجم المسائل الأصولية ١٢١
- ١٤ - فهرس الفوائد ١٢٢
- ١٥ - فهرس الحِكم والأمثال وجوامع الكلم ١٢٣
- * فهرس الموضوعات ١٢٥